مجلة علوم إنسانية
JOURNAL OF HUMAN SCIENCES
مجلة دورية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية

مجلة علوم انسانية WWW.ULUM.NL السنة السابعة: العدد 44: شتاء 2010 – Issue 44, Year 7th , Jan.

الحجاج في الدرس اللغوي الغربي

أ. بوزناشة نورالدين

أستاذ مساعد بجامعة سطيف- الجزائر
nourbouza@yahoo.fr

الملخص:

يعد الحجاج نظرية غربية حديثة تنولت من جانبين،جانب تداولي وقد ظهر ذلك من خلال أعمال ديكرو وجانب بلاغي مع بيرلمان،لقد وضع هذان العالمان أساس النظرية الحجاجية رغم اختلاف توجههما،علما أن البحث الحجاجي له جذور قديمة تمتد إلى اليونان وبالتحديد إلى أرسطو الذي أرسى معالم الدرس الحجاجي،ولذلك استفاد الدرس الحجاجي الحديث من التراث اليوناني القديم فحاول بعثه من جديد في ثوب جديد ألا وهو **النظرية الحجاجية.**

Summary:

The argumentation is considered as a modern western theory, dealt with from two angles.Pragmatic,and this emerged through the works of Ducrot and rhetorical with Perelman . These two scholars established the foundation of the argumentative theory despite the difference in their attitudes knowing that the argumentative research is traced back to the Greek and more precisely to Aristotle who established the landmarks of the argumentative lectures. That's why the modern argumentative discourse has benefited from the ancient **Greek** heritage, and it tried to relaunsh it under the name of the **argumentative theory**.

تنول موضوع الحجاج في الدرس اللغوي الغربي في علمين هما: البلاغة والتداولية،وهذا ما سنبينه في الآتي:

الحجاج بين البلاغة والتداولية:

لقد شكل الحجاج في العصر الحديث حلقة وصل بين علوم شتى تتجاذبه، منها البلاغة والتداولية اللتين اهتمتا بالحجاج من منظور زاويتين مختلفين، كان لكل واحد منهما طريقته وآلياته الخاصة في الدراسة المستندة إلى وجهة النظر للموضوع والمنطلق أيضا سواء أكان تداوليا أم بلاغيا، مما جعل الحجاج ينحصر ضمن هذين العلمين؛ البلاغة والتداولية.

بداءة، نتحدث عن المنظور البلاغي للحجاج وبالتحديد عند بيرلمان:

1- البلاغة الجديدة أو نظرية الحجاج عند بيرلمان (Chaim Perelman):

تحدثنا سابقا عن البلاغة الحجاجية التي أرسى معالمها أرسطو, والتي ظلت تحمل لعدة عقود آراءه ومنهجه إلى أن انحرف مسار الدرس البلاغي الحجاجي بعده، ليوجه إلى الاهتمام بالصياغة والبحث في المحسنات اللفظية؛ أي التركيز على الطابع الجمالي على حساب الجانب الحجاجي*, لقد ساد هذا الاتجاه البلاغي ردحا من الزمن حتى صار الجانب الجمالي فيها لباسا لها، ولهذا انبرت طائفة من البلاغين المعاصرين الذين حاولوا قراءة الموروث القديم قصد إعادة الاعتبار لركنها الحجاجي وإعطائها صبغة جديدة في قالب علمي خالص نذكر منهم: رواد المدرسة الفرنسية وعلى رأسهم **"رولان بارث"** و**"جيرار جنيت"**،و**"كونتز"** و**"كبدي فاركا"** و**"تودروف"** وأيضا مجموعة بلييج دون أن ننسى صاحب الإسهامات

الكبيرة في البلاغة الحجاجية بيرلمان بفضل مؤلفاته المتخصصة التي تركها, هؤلاء الباحثون حملوا لواء النهضة البلاغية، وقد استطاعوا كما قال بليث: "أن يجعلوا من البلاغة مبحثا علميا عصريا"(1), بيد أن الثورة البلاغية الحقيقية هي تلك التي قادها بيرلمان في مجال البلاغة مطلع هذا القرن بنظريته الحجاجية أو البلاغة الجديدة, والتي صيرته قطبا بلاغيا بارزا حيث أوجدت له منزلة بين أقرانه, والأبعد من ذلك جعلته رائدا من رواد الدراسات البلاغية باعتراف ميشال ماير(Michel Meyer)يقول منوها به: "إن الثورة الكبرى في البلاغة خلال هذا القرن قد أنجزها سواء سلمنا بذلك أم لا **"شايم بيرلمان"** ... هناك طريقة جديدة لفهم البلاغة وطبيعتها ودورها, إن آثاره ستقرأ خلال القرون المستقبلة كما يقرأ شيشرون وكينتيليان، في حين أن بلاغيين آخرين...سيلتحقون بغبار البيبليوغرافيات العالمة التي لا تثير في أحسن الأحوال إلا اهتمام المختصين الأكثر تخصصا"(2).

يؤكد ماير ضمن هذا النص أن الثورة البلاغية في العصر الحديث كانت على يد بيرلمان، وقد ارتسمت ملامحها من خلال مؤلفاته البلاغية سيما ما تعلق منها بنظرية الحجاج مثل: l'empire rhétorique ,rhétoriques,traité de l'argumentation

لقد نالت هاته المؤلفات شهرة وذيوعا عالميين، إذ إنها شكلت فتحا بلاغيا جديدا لا يختلف عن ما قدمه أرسطو المؤسس الأول للدرس البلاغي القديم, فإذا كانت البلاغة قد ولدت وترعرعت في أحضانه حيث أرسى قواعدها وأركانها ضمن كتابه الخطابة فإنها تطورت وازدهرت مع بيرلمان الذي أضاف إليها الشيء الكثير كما سنلحظ ذلك في سياق حديثنا عن نظريته (الحجاجية).(3)

لكن هذا الإنجاز البلاغي الجديد الذي حققه بيرلمان لم يأت من العدم بل خرج من صلب الكلاسيكية الأرسطية التي تلونت بالصبغة الحجاجية فشكلت إغراء له (بيرلمان) ارتقى به إلى درجة الإعجاب حتى سماها "إمبراطورية البلاغة"*، ووصفها بارث "بحضارة الغرب"(4)، نظرا لثرائها وغنى موروثها البلاغي القديم, ولهذا انطلق بيرلمان في بداية مساره البلاغي من القديم وبالتحديد من أرسطو(5)، مقتفيا في ذلك أثر التراكمية العلمية التي تشيد العلوم، غير أنه حاول بناء بلاغة جديدة تتمايز إلى حد ما عن هذا القديم تحت إطار عام هو النظرية الحجاجية التي ترادف البلاغة، مما يدفعنا إلى الإقرار بأن أرسطو وضع اللبنات الأولى للدرس البلاغي أو (النظرية الحجاجية) في حين طورها بيرلمان بشكل جعلها تماشى وروح العصر والتطلع إلى مصاف العلوم الإنسانية.

ويمكن تحديد بعض الملامح العامة لهاته البلاغة فيما يلي:

إن البلاغة البيرلمانية بالمقابلة مع البلاغة الأفلاطونية والأرسطية تتعلق بالخطابات الموجهة إلى كل أنواع المستمعين سواء تعلق الأمر بجمهور حاضر ضمن ساحة عمومية أم باجتماع لمتخصصين أو تعلق الأمر بشخص واحد(6) , بل إنها تهتم حتى بالحجج التي قد يوجهها المتكلم إلى نفسه في مقام حواري ذاتي، بمعنى أنها وسعت دائرة المستمع أو المقام بخلاف الحال عند أرسطو الذي ضيقه وحصره بجمهور مجتمع في ميدان ما.

أما موضوعها فإن النظرية الحجاجية البرلمانية تتخذ من دراسة الخطاب غير البرهاني وتحليل الاستدلالات التي لا تقف عند حدود الاستدلالات الصورية أو الحساب الآلي موضوعا لها، فهي تغطي كل الخطاب المستهدف للإقناع أو الإثبات كيفما كان المستمع الذي تتوجه إليه ومهما كانت المادة المطروحة فيه، شرط أن يكون محتملا وليس به يقين (أي إنه يقبل الطعن أو الشك في الاستنتاجات والحقائق التي يتوصل إليها).

ولذلك يقر بيرلمان أن "الحجاج لا يكون أبدا في موضع يسمح له بادعاء اليقين, ولا جدوى من الحجاج ضد ما هو يقيني ...الحجاج لا يتدخل إلا في الحالات التي يكون فيها اليقين موضع طعن"(7), وبناء عليه يفتح الحجاج على علوم شتى يشترك معها في هذا العنصر ويسهم في إثرائها كالفلسفة والقانون؛ التي يعد فيها الحجاج وسيلة تخاطب وتفكير، قال: "بالإمكان إتمام نظرية الحجاج، إذا كان ذلك مفيدا بمناهجية مختصة بحسب

نمط المستمع وجنس المعرفة, وهكذا نستطيع أن نقيم منطقا قانونيا ومنطقا فلسفيا قد نعتبرهما مجرد تطبيقات خاصة على البلاغة الجديدة وعلى القانون وعلى الفلسفة"(8).

ولا يتجلى الحجاج عنده في الفلسفة والقانون فحسب، بل يمتد إلى نواحي الحياة ليشمل كل ماله صلة بالإنسان فنجده في التربية، الفن، الأخلاق, الدين،...وحتى ضمن حياتنا اليومية التي تعد خزانا للحجاج, وفي هذا الشأن يقول: "إن الحياة اليومية والعائلية والسياسة توفر لنا كما هائلا من أمثلة الحجاج البلاغي, إن أهمية هذه الأمثلة المنتمية إلى الحياة اليومية تكمن في التقارب الذي تسمح به مع الأمثلة التي يوفرها الحجاج الأكثر سموا عند الفلاسفة والقانونيين"(9)؛ أي إن مجال الحجاج يتخطى الحدود الضيقة (الفلسفة والقانون) لكي يتضمن شتى ميادين الحياة, فهو إذا فعالية عقلية اجتماعية وحياتية.

وهكذا سعت البلاغة الجديدة لإعادة الاعتبار للبلاغة وتصحيح مسارها عن طريق الاستفادة من المراحل السابقة (الماضي) التي قطعتها وكذا إصلاح الخلل الذين وقع فيه المتقدمون من البلاغين بغية رسم صورة صحيحة وواضحة عن البلاغة(10)، ولذلك وسع مجالها (البلاغة) قصد التأكيد على أهميتها ومكانتها بين العلوم الأخرى بخلاف ماكان سائدا عند بلاغي اليونان الذين قللوا دورها وحصروا حدودها.

فقد رأينا سابقا كيف حصر أفلاطون البلاغة في النقاش الدائر بين المتفلسفين, وما خرج عن هذا يعد سفسطة لأنها تقوم على الخداع لا الصدق*, بينما ربطها أرسطو بالجمهور المتلقي فهي بلاغة جماهيرية متجسدة في: الخطابة التشاورية والاحتفالية القضائية، المتعلقة أساسا بالجدل(11).

وقد لقي الجدل الأرسطي حفاوة وصدى كبيرا عند بيرلمان حيث أدمجه مع الإنسانيات العامة والتحاور اليومي ضمن أنموذج واحد ألا وهو البلاغة الجديدة(12), والواقع أنه قد وقف على الآليات المشتركة لكل أشكال الكلام، سواء الشخصي (الذاتي) أم الثنائي الجماهيري أم الخطاب الشعري وخطاب المتخصصين في مجال القانون والعلوم الإنسانية, لكن اللافت للنظر هو جمعه بين الخطاب الشعري وخطاب العلوم الإنسانية(13).

وبهذا نأت البلاغة عن كونها خطاب العامة والحشود والجهال كما عرفت منذ القديم, بل أضحت مع بيرلمان تغطي مجالات أخرى، يقول: "إذا كانت البلاغة تقدم لنا - عند القدماء- باعتبارها تقنية يستعملها العامي المتلهف إلى البلوغ السريع إلى الاستنتاجات وتكوين رأي ما دون التمهيد لذلك بتحمل عناء البحث الجاد فنحن لا نريد أن نقصر دراسة الحجاج على دراسة حجاج جمهور العوام"(14).

ومنه يهتم الحجاج بالخطاب الذي يسعى إلى تفعيل المخاطب وكذاو صف كل ما ابتعد عن العلم والعقل المجرد، مما ساعد بيرلمان على الربط بين الجدل والبلاغة ضمن مشروعه(15), وقد مكنه ذلك من إدراك الخيط الرفيع الجامع بين بلاغة أفلاطون وأرسطو من خلال المزاوجة بين الخطابة والجدل(16), يقول بيرلمان معقبا على سابقيه وملخصا منظوره للحجاج مع تأكيده الشديد على قيمته ومكانته في ميدان الحياة: "إننا لا نعتقد عكس ما ذهب إليه أفلاطون وأرسطو وكينتليان وهم يحاولون أن يعثروا في البلاغة على استدلالات على شاكلة استدلالات المنطق أن البلاغة هي مجرد شيء زائد وأقل يقينية، وأنها لا تتوجه إلا إلى السذج والجهلة"(17)، ثم يضيف قائلا: "إن هناك مجالات هي مجالات الحجاج الديني، والحجاج التربوي والأخلاقي والفني والفلسفي والقانوني، حيث الحجاج هو بالضرورة بلاغي، إن الاستدلالات الصائبة في المنطق الصوري لا يمكن تطبيقها في المجالات التي لا تتعلق بالأحكام الصورية الخالصة ولا بالقضايا ذات محتوى يمكن الحسم فيه باللجوء إلى التجربة"(18)؛ يوضح هذا النص الملامح العامة للحجاج البرلماني أو البلاغة الجديدة، التي أحدثت ثورة جديدة في مجال البلاغة المعاصرة.

ولكن بالمقابل إن أية ثورة أو إبداع لابد أن تسبقها ظروف وعوامل تبعثها، وقد شهدت النظرية الحجاجية ولادة عسيرة قبل خروجها إلى العالم، انعكست من خلال المراحل التي عرفت فيها موتا للبلاغة وعلى أنقاضها قامت هاته النظرية البلاغية.

1-1- مـوت البلاغة ونـهضتها:

نستهل كلامنا في هذا الصدد بنص لـ بارث(R.Barthes)يتحدث فيه عن موت البلاغة الحجاجية الأرسطية* يقول فيه :"يتجلى ظفر البلاغة في سيطرتها على التعليم وبانحسارها في هذا القطاع, فقد بدأت تسقط بالتدريج في دائرة الإهمال الفكري التام, هذا الإهمال دعا إليه صعود قيمة جديدة تتمثل في اليقين (يقين الوقائع أو الأفكار أو الإحساسات) الذي يكتفي بذاته ويتجاوز اللغة (أو يعتقد أنه بالامكان تجاوزها) أو أنه يزعم على الأقل عدم استعمالها إلا بوصفها أداة ووسيلة تعبير"(19)، فالعامل الأول الذي ساهم في قتل البلاغة هو حصرها ضمن مجال التعليم(20), إضافة إلى ظهور اليقينية التي عدت مقياسا للعلم والمعرفة، متجاوزة بذلك مرحلة اللغة حيث جعلتها وسيلة للتعبير لا غير، وقد انقسمت هاته اليقينية إلى عدة أنواع أو اتجاهات وهو ما يؤكده بارث: "هذه اليقينية استقلت منذ القرن السادس عشر في ثلاث اتجاهات: اليقينية الشخصية (مشخصة في البروتستانتية)، اليقينية العقلانية (متمثلة في الديكارتية)، واليقينية الحسية (متمثلة في التجريبية)"(21).

فاليقينية إذا تؤمن بالثابت لا بالمتحول؛ أي تخضع الحقائق إلى التجربة أوالعقل وبالتالي تضيق فيها دائرة الخلاف الذي يعد أساس البلاغة الحجاجية, ولذلك اعتبرها **بارث** المسؤولة عن انهيار البلاغة الحجاجية الأرسطية، لأنه حينما يسود اليقين فلا حاجة للحجاج الذي لا يقوم إلا بزوال الأدوات اليقينية(22).

ونضيف أيضا لهذا العامل جملة عوامل أخرى منها:

- ذوبان بعض الأجناس الخطابية مثل الخطابة السياسية والقضائية، نتيجة انهيار النظام الديمقراطي الأثيني الذي شكل المناخ الملائم لانتشارها وازدهارها؛ بحيث كان مسرحا للنقاشات الحرة، فأثينا هي مهد البلاغة الحجاجية ممارسة وتطبيقا(23).
- لقد تبع انهيار النظام الأثيني زوال التعددية الوثنية, إذ كان تعدد الآلهة يوفر الخلاف وتعدد الآراء أي الحجاج خلافا للتوجه التوحيدي الذي تبنته المسيحية التوحيدية والتي رفضت تعدد الآراء(24).

وفي ضوء هذا الوضع القاتل للبلاغة من خلال الهيمنة التجريبية والعقلانية يضاف إليها انهيار الديمقراطية وصعود المسيحية، جاء مشروع بيرلمان ليبني على أنقاضها بلاغة حجاجية جديدة تسمد قوتها من الماضي (أرسطو) وتعيد بعثها من جديد(25), ولعل سبب نجاح مشروعه البلاغي يرجع إلى:

- انتشار وسائل الاتصال بشكل غير معهود في تاريخ البشرية عن طريق ظهور القنوات التلفزيونية والصحافة وأخيرا الإنترنت(26) وما صاحبه من اضمحلال للقيم الأيدلوجية القديمة مما ساهم في توفير مجال واسع يعد فيه العقل لا العنف الوسيلة الوحيدة التي يعترف بها الجميع لحل المعضلات الإنسانية.
- المصير التراجيدي الذي وصل إليه التقدم التكنولوجي ضمن الحربين العالميتين الأولى والثانية، وما نتج عنه من تشكيك في قيمة هذا العقل البشري(27).

1-2- مشروع بيرلمان:

سعى مشروع بيرلمان إلى إعادة المجالات التي سحبت من البلاغة، بواسطة نقده الاتجاهين الفلسفيين (نعني بهما التجريبية والعقلانية) والطعن فيما يزعمانه من ادعاء العلمية والتمتع بمجال علمي خاص دون البلاغة التي تفتقر في نظرهم إلى هذه الميزات والخصائص العلمية(28).

ومن هذا المنطلق دخلت البلاغة الجديدة في صراع حاد *مع هاته العلوم العقلية والتجريبية كالفلسفة والعلوم التجريبية والرياضية والأخلاق والعلوم الإنسانية بغية إثبات وجودها وانتسابها إلى العلمية وكذا كشف تجني الاتجاه العقلي والتجريبي عليها(29).

ومن البديهي أن تناصب هاته العلوم العداء للبلاغة بسب منطلقها الأول والمتمثل في موضوع العلم الذي يتخذ من الحقيقة الموضوعية مقياسا له، سواء في عالم المجردات أم في عالم الحسيات، وعلى هذا الأساس يتوزع الاتجاهين الفلسفيين السابقين أي العقلانية والتجريبية رغم اختلاف منهجهما في الوصول للحقيق(30)؛ فالعقلانية ترى أن الأفكار البديهية هي نتيجة العقل السوي البعيد عن الأهواء, بمعنى إبطال دور الذات المتكلمة, إضافة إلى كونها لا تتأثر بأي عامل من العوامل الاجتماعية أو التاريخية وحتى النفسية, ويمكن تلمس ذلك ضمن

الطرح الأفلاطوني الذي يؤكد فيه أن العالم الحقيقي هو عالم المثل وكل ما عدا ذلك سواء الواقع المادي لما يقابل هذا العالم أم العالم اللغوي الذي يصفه فهو بالنسبة إليه محاكاة زائفة لعالم المثل الحقيقي، وهذا هو الأساس الذي تبناه أفلاطون في رفض البلاغة(31), وعليه يجب التسليم دائما بوجود أفكار ثابتة أبدية غير متلونة بألوان الذات مما يجعلها بعيدة كل البعد عن البلاغة القائمة على الرأي المتغير.

أما التجريبية فتخالف العقلانية بلجوئها إلى التجربة والبرهنة لمعرفة الحقائق(32) لكنها تجتمع معها في عدائها للبلاغة, يقول بيرلمان: "إن كل إثبات لفكرة عامة أعلى من الوقائع قد لا تكون إلا رأيا، أو نظرية ينبغي دعمها بالوقائع, في حين أن هذه الأخيرة تكون بمنأى عن أي نقد، وهي بذرات المعرفة شأنها شأن الأفكار البديهية، وهي من حيث الجوهر غير متغيرة ومستقلة عن الشخص ومزاجه وتكوينه وتاريخه"(33).

أي إن جوهر التجريبية يتلخص في تباين الأشياء بتباين المنظور إليها، لأنها موجودة في الواقع،ولذلك تصبح اللغة من الناحية التجريبية أداة اصطلاحية (اتفاقية) تسمح بالانتقال من لغة إلى لغة،وهذا ما تعكسه الواقعية الخارجة من صلب التجريبية،والتي سعت إلى إبطال دور اللغة، بواسطة تجاوز نتائجها مثل التشويه وسوء التفاهم .وجعل ذلك الخطأ ناتجا عن ما هو غريب عن الحدس أو الوقائع، ولهذا تجب البرهنة لتفاديه في كل رأي لا يحتوي الحقيقة، وبالتالي،يحصل التطابق بين الذات والموضوع، كما تستبعد العناصر الذاتية المشوشة انطلاقا من التجربة التي تمثل مصدر التجريبية،والتي تعترف إلا بالمعرفة التي يقدمها الإدراك الحسي (الحواس) باعتباره يشكل القاسم المشترك بين الناس.ولوصف هاته الوقائع باللغة تستعين التجريبية بلغة مطهرة أو لغة اتفاقية تنزع منها كل الشوائب النفسية أو الذاتية(34). فالتجريبية إذا،لا تتخلف نظرتها عن العقلانية في نبذها للبلاغة وإهمالها.

ولذلك من السهل أن تجد العقلانية والتجريبية في البلاغة الصيد الثمين لانتقاصها،لأنها تقوم على الرأي المبني على ما يعتقده الناس فما يسلمون به ليس مطلوبا أن يكون موافقا تعاليم التجريبية و العقلانية.

ولهذا كان الغرض الأساسي في التوجه البلاغي لبيرلمان من خلال النظرية الحجاجية هي استعادة البلاغة لمكانها الطبيعي والشرعي بين هاته العلوم سواء التجريبية أم العقلية،إذ حين تعوزنا البراهين المنطقية أوالتجريبية نعمد إلى البلاغة(35).

وبناء عليه،رسم بيرلمان حدود مشروعه على أساس النظر في موضوع الحجاج وهدفه.فالنسبة للموضوع يهتم الحجاج بدراسة مجموعة من تقنيات الخطابية،التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة الاستمالة(36).وأما الهدف منه فهو اقتناع المتلقي واستمالته(37)،ويستدعي ذلك توافر مجموعة من المقومات والتقنيات بحيث يكون مجال البحث فيه متعلقا بالمماثل والمعقول والمحتمل بعيدا عن الحسابات الحتمية أو التوقعات الراجحة و الإلزامية بخلاف العلوم التجربية والعقلي.

1-2-1-مقومات الحجاج:

نبتدئ الكلام حول هذا العنصر بقول بيرلمان: "بما أن الغاية من الحجاج هي إثارة مستمع ما واستمالته نحو الأطروحات المراد تزكيتها، أو زيادة التزكية وليس استنباط النتائج من بعض المقدمات فإنها لا تدور في فراغ, إنها تقتضي تماس فكري الخطيب والمستمع, ينبغي للخطاب أن يكون مسموعا ولكتاب ما أن يكون مقروء، إذ بدون هذا يغدو تأثيرها صفرا"(38)؛ يؤكد هذا القول أن الحجاج يهدف بالضرورة إلى استمالة المستمع الذي يعد طرفا مهما ضمن العملية الحجاجية*, ولذلك يتوجب على المتكلم سواء أكان خطيبا أم كاتبا العناية بالمتلقي، وبخاصة أفكاره ومشاعره وكذا أحواله(39), وكذلك يجب أن يكون كلامه واضحا لديه أي مسموعا ومقروءا حتى يتحقق الأثر، لأن ذلك ينعكس على خطابه وكتابه.

فالحجاج إذا يعتمد حضور شخصية الباث (المبلغ)، والمتلقي (المستمع) الذي من أجله تقوم المحاججة والإقناع, لكن ما طبيعة هذا المستمع وما نوعه؟.

في الحقيقة إن المستمع يتعدد بحسب المقام(40)، فقد يكون المتكلم مثلا محاميا يوجه مرافعته إلى قاض مستمع بغية إقناعه, أو رئيسا يلقي خطابه أمام نواب البرلمان، أو حتى صحفيا يستجوب شخصا ما ليعرض

حاله أمام الرأي العام، ولكن يهمل المحامي والرئيس كلاهما جزءا من مستمعيه ويتعلق الأمر بالشرطي ضمن مجلس القضاء وبعض أعضاء المعارضة في البرلمان، مما يعني ألاّ مجال للمطابقة بين مستمع مخاطب وأولئك الذين يكونون في وضع مادي يسمح بسماعهم دون أن تعطى لهم الفرصة لقراءة خطبهم(41)

ومنه تحدد النظرية الحجاجية المستمع بمجموع أولئك الذين يريد الخطيب التأثير فيهم؛ أي إنه يمثل مجموع الصفات الجوهرية(42), بيد أن هذا المجموع قابل للتغير إذ يمكن ملاحظته على الخطيب نفسه، وذلك حينما يكون في تشاور ذاتي حول موقف ما, ولذلك يتغير المتلقي تبعا لتغير المقامات والظروف التي تواجه الإنسان؛ يقول محمد ولد سالم: "الحجاج عرضة للتغير والتحوير في بنائه وأنساقه التي يقوم عليها وذلك تبعا لتغير المقام وتغير ظروف المحاجج حتى وإن ظل النقاش هو ذاته"(43).

ومن هذا المنطلق يرى بيرلمان أن مخاطبة الفرد تختلف عن مخاطبة الجماعة في ساحة عمومية(44)، إذ توفر للخطيب الامتياز بالتعرف على المستمع الفرد معرفة عميقة، لأن الخطيب مع تقدم الحوار يستطيع من خلال الأسئلة والأجوبة التعرف عليه أكثر، وخاصة ما تعلق بميولاته والجوانب التي يستحيب لها هذا الفرد، مما يسهم في خلق وضعية مناسبة للاقتناع والتأثير, أما إذا تجاهل الخطيب ذلك فإنه سيقف أمام حجر عثرة يحول بينه وبين مستمعه وبالتالي يضيع إقناعه، لأن: "الخطيب الذي لا يلتفت إلى مطالب المستمع هو شخص أناني أو أنه لا يتحدث إلا مع نفسه، ويتنصت إلى هلاوسه, هذا الشرط أساسي بالنسبة إلى ذلك الذي يسعى إلى التمكن من المستمع وجعله يتصرف وفق ما نرغب فيه"(45).

فمعرفة المستمع إذا تساعد في تهيئة الإقناع, ولذلك يكون المتكلم أو الكاتب مطالبا دائما بأن يعيَ مقام مخاطبيه ومستوياتهم المختلفة الاجتماعية والفكرية والسياسية .

ومن ثم كان خطاب المتخصصين نحو الفيزيائيين والمؤرخين موضوعه متخصصا، يختلف عن الخطاب الأول المرتكز على الأسئلة والأجوبة (الجدل) والمتعارض مع الثوابت العلمية، لأنه مقيد بمجموعة من المناهج والأطروحات التي يفترض قبولها،وهذا مانلمسه في الخطاب الديني مثلا،عندما يلجأ الراهب لمجموعة من الأطروحات التي يسلم بها المخاطبون, وفي المقابل يصادف خطاب الفيلسوف صعوبات، إذ إنه موجه لمستمع كوني (متخصص) حيث لا توجد أطروحات يسلم بها المتلقون.

وعليه يقود التمييز بين هاته الخطابات إلى الفهم الجيد، قال محمد الولي: "إن التمييز بين الخطابات المتوجهة إلى بعض الناس والخطابات المتوجهة إلى كل الناس، يسمح بالفهم الجيد لما يعارض بين الخطاب الإقناعي والخطاب الموقن"(46)، فيجب التفريق إذا بين الخطاب اليقيني والخطاب الإقناعي لكي يحصل الفهم.

ففي الخطاب الإقناعي مثلا يشترك المتكلم والمتلقي في خاصية مميزة هي الميزة التأويلية للأشياء والكلمات إذ تكتسب في ظلها أبعادا ومعاني جديدة متلونة بألوان الذات المتكلمة والمتلقية والتي يصبغ بصبغة مجازية تفسح لها المجال للتأويل، وبالتالي يصبح المعنى محصورا في ذهن التكلم والمتلقي, بينما يكتفي الخطاب العلمي بالوجود الأنطولوجي* للأشياء والكلمات والبعيد عن التأويل, ولذلك يكون الرابط الجامع بين الباث والمتلقي هي العلاقة التأويلية التي تطبع الأشياء والكلمات بخلاف الخطاب العلمي المستقل عنها(47).

في المقابل نسجل بعض الملاحظات المهمة والمتعلقة أساسا بهاته العلاقة التخاطبية الحجاجية:

- من البديهي أن يختار المتكلم مستمعه، ولكن هذا الاختيار لا يمكنه أن يمنع أيا كان من الاستماع إليه .
-كما لا يستطيع أن يفرض على مخاطبه تلقي الرسالة، والتي بدورها لاتصل إليه في بعض الحالات وأحيانا أخرى يتلقى رسالة لم يبعثها الخطيب .
- وما يقال عن الخطيب ينطبق على الرسالة أيضا، إذ قد يتسع مجال التأويل فيها لتخرج عن مقصد المتكلم أوتتعارض معه، فيطالها التغيير والتبديل بالحذف أو الزيادة(48).

وفي الأخير نؤكد أن المتلقي فاعل نشيط لا يستقر على حال، ومعرفته تغدو ضرورية للمتكلم إذا رام تحقيق الاقتناع والتأثير(49)، يقول محمد سالم: "والمتكلم (خطيبا أو كاتبا) لا يستطيع تخيل هذا المخاطب، ما لم يكن على دراية عميقة بأحوال المخاطبين الراهنة،وبموروثهم الثقافي والحضاري وبهموم مستقبلهم"(50).

2-2-1 مسلمات الحجاج:

يحرص الخطيب على أن يكون خطابه دائما مؤثرا، مما يستدعي منه التلاؤم مع مستمعه، حتى ينال التسليم والقبول من قبل المتلقي, ثم يتخذ ذلك منطلقا أو ضرورة حجاجية في بناء حجاجه كما يرى بيرلمان؛ لأن غاية الحجاج هي أن تخص النتائج بنفس الاستمالة أو القبول التي تخص بها المسلمات، وتفاديا للفشل في أداء القصد فإن الخطيب لا ينبغي له التسليم إلا بالمسلمات التي تتمع بقبول كاف، أو التي تكون مقبولة أيضا عند المستمع(51), أي إن المتكلم يبني حجاجه على أساس مسلمات المتلقي.

هاته المسلمات التي تحضى بالقبول تمثل المنطلق لقيام العملية الحجاجية بين قطبي الكلام أعني المتكلم والمتلقي، ولهذا كان غيابها في الكلام يؤدي إلى ظهور نتائج عكسية على الحجاج إذ: "إن ذلك الذي يتجاهل في حجاجه قبول المستمع لمسلمات خطابه يقترف خطأ كبيرا وهو المصادرة على المطلوب"(52)، مما يعني ضرورة الاهتمام بالمسلمات الخطابية ضمن الحجاج.

ويذكر بيرلمان مصادرها والمواضع التي يغترف منها الخطيب، منبها في السياق ذاته على وجوب التمييز بينها خاصة بين تلك المرتبطة بالواقع، وبالأوهام، وبالمستحسن أو كما يطلق عليها: القيم والسلالم ومواضع المستحسن(53), ولكن بالرغم من وجود حقائق ووقائع تصفها اللغة وتشكل عناصر موضوعية تفرض نفسها على الجميع، وتكون متفقة ومشتركة بينهم جميعا، فإن التحليل الذي ينطلق من جهة نظر حجاجية ذاتية لا يسمح بتجاهل موقف المستمع إزاءها, والمتمثل في الطعن الذي قد يوجهه إليها، وبالتالي لا تسمى واقعة ما أو حقيقة مسلمة في المنظور الحجاجي إلا حينما نفترض بصددها وجود اتفاق كوني بعيد عن الطعن أي: "إن استمالة المستمع نحو الواقعة هي بالنسبة إلى الشخص مجرد استجابة ذاتية إزاء شيء ما يفرض نفسه تلقائيا على الجميع"(54)، ولذلك يشترط في الوصول للحقيقة أو المسلمة ضمن الحجاج بعدها عن النقض لكي تحقق الاستمالة والاستجابة، أما إذا كانت هاته الواقعة موضع طعن من قبل المتلقي فإن الخطيب لا يعتد بهذه الواقعة أو المسلمة.

في المقابل توجد حقائق نسلم بها مباشرة دون انتقادها باعتبارها تمثل سلطة ما، سواء أكانت دينية أم غيرها بحيث تكون معصومة من الطعن وضامنة للوقائع والحقائق، ولكن غياب هذه الضمانة المطلقة لبعض منها خاصة التي تتمتع بقبول لدى الرأي العام قد يجعلها خاضعة للنقد أو (الطعن)، لأن الأشياء لا تأخذ نمطا قارا وثابتا، ولهذا يسلم الحجاجيون وهم يستندون على عنصري الباث والمتلقي بالوضع الإشكالي للأشياء.

إن هذه الأخيرة لا تتمتع إلا بالوجود الذي يسمح به عنصرا الباث أو المتلقي والذيْن قلما تطابقا(55).

وإلى جانب هاته الوقائع والحقائق قد يعتمد المتكلم في مسلماته على الاحتمالات التي توفر له مبررات كافية لدعم اعتقاد معقول، رغم كونها غير أكيدة إذ إنها ترتبط بما يحدث عادة وهذا يعتبر أمرا معقولا يمكن الاعتداد به؛ ففي القضاء مثلا يعرف عادة عن القاضي النزاهة، ومع ذلك توجد قائمة طويلة لقضاة مرتشين, كما أن الراهبة التي يفترض فيها العذرية،إ لا أنَّ حكايات هتك التعاليم الدينية لا تنتهي.

ومنه نقول: إن الاحتمالات التي تعد مسلمات ترتكز على الافتراض المسبق المبني أساسا على ما يجري في العادة، ولذلك اعتبرت مسلمات الحجاج احتمالية قابلة للنقض، قال محمد سالم: "مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية"(56).

ولكن هاته الأحكام المستمدة من الواقع المعروف أو المحتمل قد تعترضها أحكام أخرى تعبر عن استحسان ما (القيم والمراتب) أو تبين ما هو مستحسن.

هذه الأحكام القيمية - في الحقيقة - ترجع إلى موقف المتكلم في نظرته للأشياء، حيث تعرف القيم الإيجابية والسلبية من مواقفه إزاء ما ترفعه أو تحطه، بمعنى أن هناك مراتب لتصنيف هاته الأحكام(57), فما يعبر عنه بالكلمات أنه جيد وصائب أو حقيقي وواقعي يكون ساميا، بينما ما يوصف بأنه قبيح أو زائف يعد منحطا.

غير أن هاته القيم قد تكون متفقة لدى الجميع (مسلمة) إذا لم تحدد، أما إذا حددت وضبطت صارت قابلة للاعتراض, وتنقسم هذه القيم قسمين: قيم مجردة نحو العدل, وقيم ملموسة، إذ:"ينبغي في التحليل الحجاجي التميز بين...القيم المجردة مثل الجمال والعدل والحق، والقيم الملموسة مثل فرنسا والكنيسة"(58).

فالقيم المجردة تكتسي طابعا تجريديا (معنويا)، في حين ترتبط الثانية إما بكائن أو مجموعة أو مؤسسة تكون حيادية، ولذلك لا يمكن ضمن الحجاج غض الطرف عنهما إذ قد تخضع الواحدة للأخرى بحسب الحالات.

كما تصنف هاته القيم في إطار الحجاج إلى مراتب تحدد قيمتها ودرجة حجاجها(59).

ولذا تترتب هذه القيم بحسب دعامتها الحجية، فما ينسب من القيم الملموسة إلى الناس يكون أسمى من نسبتها للأشياء، وكذلك الحال بالنسبة للقيم مجردة مثل الصائب والمفيد, بيد أن التعمق في البحث عن هاته القيم يقودنا إلى الوقوف على القيم المشتركة الشبيهة بالاحتمالات، والتي صنفها أرسطو قديما إلى مواضع مشتركة وخاصة، حيث "إننا نستطيع أن نميز بهذا الصدد ما كان القدماء وبالخصوص أرسطو يصفونه المواضع المشتركة والمواضع الخاصة"(60)؛ أي إن فكرة الترتيب قديمة، ومن خلالها تتموضع المسلمات.

وهكذا تعد الحقائق والاحتمالات والقيم والمراتب مسلمات يبني المتكلم بواسطتها حجاجه.

1-2-3- تقنيات الحجاج:

في البداية ننطلق من التمييز الحاصل بين المنطق والبلاغة، ذلك أن المنطق يعتمد على مسلمات مقبولة لا تخضع لأي طعن، باعتباره نسقا معطى يخالف الحجاج البلاغي الذي يتبنى منهج الشك في كل شيء(61), فحينما نقول مثلا أن زوايا المثلث تساوي 180 درجة يسلم بذلك، وبالتالي لا يستلزم الأمر نقاشا في الهندسة, لكن ضمن الحجاج قد يشك حتى في بعض المبادئ، من قبيل ضرورة احترام الآباء, فإذا كان الأب مرتشيا فهل يجب احترامه؟.

ولهذا يقول بيرلمان: "وفي الوقت الذي نجد الحجاج في المنطق ملزما لا نجد في البلاغة أي إلزام بالاقتناع بقضية أو بالتخلي عنها بسبب تناقض نحاصر فيه"(62)، فالحجاج إذا يسير عكس المنطق.

من هذا المنطلق قسم بيرلمان الحجج جنسين كبيرين:

تقوم الأولى على الوصل(63)، وتشمل كل الحجج التي اهتمت بها البلاغة القديمة (أرسطو) وهي ثلاثة أنواع:

ا- الحجج شبه منطقية.

ب - الحجج القائمة على بنية الواقع .

ج- الحجج القائمة على إعادة بناء الواقع(64).

هذا الجنس من الحجج يسمح بإجراء نفس القبول على الاستنتاج أو المقدمات، أي إن ما يصدق على الاستنتاج يصدق على المقدمات أيضا.

أما الصنف الثاني من الحجج فتقوم على الفصل، حيث تسعى إلى فصل عناصر سبق للغة أو لممارسة ما أن ربطت بينهما.

ونبدأ الكلام عن النوع الأول من الحجج الوصلية:

ا- **الحجج شبه منطقية** (تقابل القياس الإضماري عند أرسطو):

سميت هاته الحجج منطقية لأنها تقبل الصياغة المنطقية، ووصفت بالمشابهة لعدم إلزاميتها فهي تلتقي بذلك مع البلاغة (الحجاج) في البعد عن الإلزام أو الفرض البلاغي، مما يجعل أي تلقيح للبلاغة بالمنطق الصوري آيلا إلى الفشل(65), ولذلك يكون الحجاج غير الإلزامي مخالفا للمنطق الصوري المنطلق من حقائق ثابتة، قال بيرلمان: "حينما يحاول خصمان أن يقنع أحدهما الآخر يمكن أن يلاحظا أن آراءهما قد طرأ عليها التغير بعد الحجاج, إنهما يبلغان إلى توافق مختلف قائم على أطروحة مختلفة عن الأطروحتين اللتين انطلقا منها

وما كان لهذا ليحصل لو كان الأمر متعلقا باستدلال داخل نسق استنباطي ثابت "(66), ومن أبرز خصائص هاته الحجج: التناقض وعدم التناسب.

من المعلوم أن وجود التناقض داخل نسق صوري يؤدي بالضرورة إلى تغييره، ولكن هذا لا ينطبق على اللغة التي تحمل في طياتها تناقضا تجسده اللغة اليومية، فعندما يقول مثلا هراقليتس: "إننا ندخل ولا ندخل نفس النهر مرتين" يظهر التناقض غير أنه يزول بواسطة تأويل عبارة "نفس النهر" بطريقتين مختلفتين بحيث يكون الإثبات صادقا مع الأول والنفي في التأويل الثاني(67), وبالتالي يقابل التناقض داخل المنطق الصوري عدم التناسب في الحجاج كما يرى بيرلمان يقول: "حينما نثبت قاعدة ما أو نؤكد أطروحة أو موقفا ملتزما يؤدي دون أن نرغب في ذلك إلى نزاع مع أطروحة أو قاعدة سبق إثباتها, أو مع أطروحة يسلم بها العموم والتي يفترض أن يأخذ بها كل الأطراف المنتسبين إلى مجموعة ما"(68)؛ يؤكد هذا القول نسبية هاته الحجج التي تظهر من خلال عدم تناسب النتائج مع المقدمات، فعندما نرى مدرسا مثلا يلقن الأطفال ضرورة احترام الآباء وأيضا تجنب الكذب بينما نلحظ الأب يكذب فإننا نكون أمام تناقض وعدم تناسب.

ومن ذلك قول المتنبي(69) :

يا أعدلَ الناس إلّا في معامَلَتِي *** فيكَ الخِصَامُ وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

إذ يستغرب موقف الشاعر من سيف الدولة، حيث جعل ممدوحه بمنزلة الخصم والحكم في آن واحد رغم أن العدل يقتضي ألا تجتمع الوظيفتان معًا في شخص واحد.

ولا تقتصر الحجج المنطقية على عدم التناقض، بل تتضمن أيضا حجج التعدية والتضمن والتقسيم, إضافة إلى المقارنة, وأخيرا الاحتمالات, ونوجزها في الآتي:

- حجج التعدية والتضمن والتقسيم: في الحقيقة إن التعدية هي خاصية صورية لبعض العلاقات، والتي تسمح بالانتقال من إثبات العلاقة بين (أ) و(ب) وبين (ب) و(ج) إلى استنتاج العلاقة نفسها مع (أ)و (ج) .

ولذلك نجد مبدأ التعددية مطبقا بطريقة صورية في القياس، مثال: "إذا كان اللاعب (أ) قد هزم اللاعب (ب) وإذا كان اللاعب (ب) قد هزم (ج)، فإننا نستطيع أن نعتبر اللاعب (أ) أقوى من (ج)"(70).

فاستدلال القياسي إذا قائم على التعددية وبخاصة "القياس المضمر"(71)، الذي يماثل الحجج شبه المنطقية لأن مقدماته تتعدد لكن السامع يصل إلى نتيجة مطابقة لها, مثل:كل مسكر حرام ، الخمر مسكر، إذا الخمر حرام
.

نلاحظ في هذا القياس تطابق المقدمة مع الاستنتاج.

أما حجة التضمن فتقوم على الاستقراء التام، بحيث ما يصدق على الكل يصدق أيضا على الأجزاء فإذا قلنا بأن شخصا يشتري علبة سيجارة فإنه بالتأكيد يستطيع شراء بعض اللفائف(72).

- بينما تكون حجة التقسيم مخالفة للحجة السابقة، بتقسيمها الكل إلى أجزائه, وبناء عليه لا يصل المتكلم إلى الاقتناع الذي يمثل الهدف العام، إلا بعد النظر في الجزئيات التي تحملها الحجة أو الإثبات(73).

مثال ذلك: إن التلميذ الذي يحصل على درجات ممتازة بكل مقياس يفوز بالنجاح في النتائج النهائية.

- ويضاف إلى الحجتين السابقتين حجة المقارنة: والتي يكون فيها الحجاج مبنيا على المقارنة بين الأشياء من أجل تقييمها، ولذلك صنفت على أنها حجة, فإذا قال متكلم: "هو أجمل من أدونيس"، فإنه يوازن بين شخصين لإثبات أو تأكيد حقيقة ما، لكن هذا الوزن الذي يمثل مقياسا ترجيحيا يجعل المقارنة قريبة من الحجج شبه المنطقية، وبالتالي" فإن حجج المقارنة هي شبه منطقية"(74).

- الاحتمالات: تدخل في هاته الحجج شبه المنطقية في كل الحجج التي تحيل على احتمالات غير محددة إما في الأفكار أو الحساب، وذلك بالاستناد على القاعدة القائلة بأن "الرأيين أحسن من رأي واحد"(75).

ب- الحجج القائمة على بنية الواقع: تعتمد هاته الحجج على علاقات وترابطات ذات صلة بالواقع, حيث تقوم هاته الحجج على ترابطات قابلة للملاحظة في الواقع الذي ينظر إليه المتحدث، مثل العلاقات الكنائية والمجازية

المرسلة التي تستند على علاقات الاتصال بين الأشياء في العالم(76), ومنه تقسم هذه الترابطات إلى قسمين: ترابط التعاقب، وترابط التصاحب*، ولا تخلو الحجج القائمة على بنية الواقع منهما(77).

1- **روابط التعاقب**: يتم فيه الربط بين الحوادث من خلال النظر في علاقة الفعل بما تقدم أو تأخر وهي تقابل العلاقة السببية ويعد الحجاجيون هاته الحجج المبنية على التعاقب حججا براغماتية(78).

2- **روابط التصاحب**: تمثل هذه الروابط علاقة الشخص بأفعاله، وما تركه من تأثير على السامع، وهي تلعب دورا متميزا في زيادة الإقناع(79)، مثلا: إن أفعال الإنسان ترتبط بنواياه التي تطبعها، وعلى هذا الأساس يتميز الإنسان عن غيره حيث تكون أفعاله حجة, مثل: الإمام في المسجد أقواله وأفعاله حجة.

ج- الحجج المبنية للواقع: تضم هاته الحجج: الشاهد والمثال وكذا القدوة, وتقوم هذه الحجج على الربط بين وقائع متعايشة أومتتابعة(80)، مثال ذلك :في الحي ذباب كثير إذا هناك قمامات قريبة, وهذا يعني تلازم شيئين مختلفين في المكان أو الزمان نفسه مثل قولنا: يعاني هذا الشخص من مرض السيدا، إذا سبقت له معاشرة جنسية غير وقائية, ويشير هذا المثال إلى تلازم زماني للشيء في لحظتين معاقبتين(81), ومن ذلك أيضا قول المتنبي(82):

فإن تَفُق الأنَامَ وأنتَ منهم *** فَإنَّ المِسْكَ بعضُ دم الغَزَالِ

نلاحظ في هذا البيت ربط المتنبي بين شئين في مكان واحد هو: وجود سيف الدولة بين الناس ووجود المسك في دم الغزال.

ومنه تتميز هذه الحجج عن سابقتها بطابع الابتكارية لأن الإنسان يوظف فكره لنسج هاته الصور, ولعل هاته العلاقات تتجلى بصفة خاصة فيما يسمى بالشاهد الذي يربط بين المتفقات في الجنس(83) ولذلك يقال: "هو مستبد مثل الحجاج".

لقد تناول أرسطو الشاهد وتأثيره في الحجاج، حيث قسمه إلى شاهد تاريخي واقعي وشاهد خرافي (أدخل فيه الخرافة والأسطورة)، وهو يحمل حمولة إقناعية مبنية على التشابه(84), لكن بيرلمان خالف هذا التصور برفضه الربط الخرافي والأسطوري للشاهد، لأنه يؤمن بحكمة العقل لا الأسطورة، وبالتالي يكون الشاهد معبرا عن واقع وليس عن الأسطورة*، أي إن الشاهد يعتمد إثبات قاعدة ما مشتركة بين شيئين, يقول بيرلمان: "إن الشاهد المستعمل ينبغي له لكي يفهم باعتباره كذلك، أن يتمتع بوضع الواقعة (أي الوجود العيني أو الفعلي) على الأقل مؤقتا...إن رفض الشاهد لكونه يتعارض مع الحقيقة التاريخية أو لكوننا نستطيع أن نعارضه بأدلة مقنعة ضد التعميم المقترح، سيضعف بشكل عام الاستمالة نحو الأطروحة التي نريد إثارتها"(85).

فيرلمان إذا يخالف أرسطو في تصور الشاهد، وذلك بإبطاله آثار الأفعال الأسطورية، وتركيزه على فعالية الأفعال ذات الطبيعة الواقعية.

أما المثال فإنه يوضح الشاهد أو القاعدة، ويختلف عنه في أن دوره يقتصر فقط على التوضيح وليس صياغة القواعد، قال بيرلمان: "إن بعض الشواهد لا تستعمل لأجل البرهنة، وإنما لأجل التوضيح"(86)، وبناء عليه يسعى المثال إلى تقوية حضور الشاهد وحجيته.

بينما تعبر القدوة عن حالة خاصة تقدم بوصفها قدوة تحتذى، وهي تقام مقام الشاهد أو المثال, لكن هاته القدوة تستند إلى سلطة يتأثر بها المخاطب(87)، مثل الشهرة ،الملك...ولذلك إذا غابت القدوات تعم الفوضى, والجزائر خير دليل على ذلك فالعشرية السوداء التي عانت منها الجزائر مثلا ناجمة بالأساس عن غياب القدوات مثل الشيخ عبد الحميد والبشير الإبراهيمي.

وعليه يظهر بيرلمان الفرق بين الحجج الثلاث (الشاهد، المثال، القدوة) من خلال وظائفها الحجاجية فـ"في حال الشاهد ستسمح بالتعميم, وفي حال المثال ستسمح بدعم قاعدة قائمة سلفا, وفي الحال القدوة ستدعو إلى الاقتداء"(88).

كما تدخل ضمن الحجج المبنية للواقع الصور البيانية وخاصة الاستعارة التناسبية التي تعد مقوما حجاجيا ولهذا نالت اهتماما كبيرا عند أرسطو، حيث عدها حجة نظرا لاقترانها بالتناسب المرتبط بتشابه علاقتين

يقول: "إن الأقوال الأنيقة تؤخذ من الاستعارة التناسبية ومن التعبيرات التي تجعل الأشياء تمثل أمام العيون"(89), مثال ذلك قول المتنبي(90) :

ما مقامي بأرض نخلة إلاّ *** كمُقَامِ المسِيحِ بَينَ اليَهُودِ

إن علاقة المتنبي بأهل مصر والذي نزل عليهم ضيفا كمقام المسيح بين اليهود, والتالي تمثل المشابهة في علاقتي التناسب, ويوضح بيرلمان هاته الفكرة بقوله: "لكي يقوم التناسب فإن الموضوع والشبيه، ينبغي أن ينتسبا إلى مجالين مختلفين"(91), أي إن الشرط الأساس لقيام التناسب هو التأليف بين علاقتين, ولذلك لا يكاد يخلو الحجاج من التناسب، ويعطى الاستعارة بعدا حجاجيا(92).

أما المحسنات فقد أدرجها بيرلمان ضمن هذا النوع من الحجج، معارضا بذلك التصور القديم الذي انتقص قيمتها وربطها بالجانب الزخرفي، وعليه تعد المحسنات من قبيل التريد والتكرير...مقومات حجاجية لأنها تؤدي إلى تغيير موقف المخاطب يقول: "إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة, وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع"(93).

منه نقول أن الحجج المبنينة للواقع تعد أقوى الحجج؛ لأنها تحمل سمة الابتكارية والاختراع.

وهكذا نستنتج مما تقدم أن النظرية الحجاجية هي وليدة هذا العصر على الرغم من استفادتها من القديم.

لقد ارتأت هاته النظرية أن تنافس الأسلوبية وغيرها في مجال تحليل الخطاب وهو ما تحقق لها، وفي هذا المقام يقول فرحان بدري الحربي: "فالقرن العشرين إذا شهد انبعاثا بلاغيا واضحا لم تعد البلاغة فيه مجرد بحث في عملية الإقناع أو محاولة لتحليل الخصائص الجمالية لأسلوب، إذ إنها تجاوزت البعد الجمالي الذي انحصرت فيه بشكل صارم من قبل ذلك، وأخذت طابع العلم أو أن بحوثها نزعت إلى أن تصبح علما مقاما على وفق نظرية متخصصة، وحاول الباحثون تطويرها وجعلها مبحثا علميا عصريا"(94).

2- الحجاج والتداولية:

تعد البلاغة مهد نظرية الحجاج كما ذكرنا سابقا، ولكن الإطار العام الذي تسير فيه هاته النظرية هو التداولية ولذلك يرى اللسانيون وفي مقدمتهم ديكرو أن الحجاج مرتبط باللغة وليست له أية علاقة بالمنطق الجدلي البلاغي الذي تبناه بيرلمان(95)، يقول أبو بكر العزاوي: "نظرية الحجاج في اللغة تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعد الحجاج منتميا إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو) أو البلاغة الحديثة (بيرلمان أولبريخت تيتيكا، ميشال ماير..) أو منتميا إلى المنطق الطبيعي (جان بليز غريز...)"(96).

ثم يختم قائلا: "إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو منذ سنة 1973 نظرية لسانية"(97)؛ أي إن هاته النظرية قد انطلقت من اللغة وبالتحديد من نظرية الأفعال لأوستين وسيرل.

2-1- الحجاج عند أوستين(J.austin) لقد ظهرت فكرة الحجاج من داخل حقل الأفعال الكلامية، حين قدم أوستين كتابا حول "نظرية الأفعال اللغوية العامة" حاول فيه ربط اللغة بالاستعمال أو الإنجاز (الكلام بالفعل)(98), كما اهتم بالكلام الذي أهمله سوسيور باعتباره من ملبسات الموقف الخطابي والاستعمال, يقول ديكرو: "لم يعد بوسعنا قبول الازدواجية بين اللغة التي تحدد الدلالات وكلام ينقل فيما بعد هذه الدلالات على نحو يلبي مختلف حاجات الأشخاص, لقد أثبتنا بالعكس أن آثار الكلام على الموقف الخطابي محددة بواسطة اصطلاحات وأن هذه الاصطلاحات المتعلقة بالاستعمال تشكل إلى حد كبير الواقع الدلالي لعناصر اللغة"(99)؛ أي إن الاستعمال أوالسياق بشكل عام يساعد على تحديد معنى القول, ولذلك ربطت التداولية اللغة بمؤوليها أو (مستعمليها)(100).

ولكن ربط أوستين الكلام بالفعل أو الإنجاز قاده إلى وضع تصور جديد للغة من خلال تقسيمه للجمل إلى وصفية وإنشائية (إنجازية)(101) ، فالجمل الوصفية هي جمل خبرية تصف حدثا ما ويمكن الحكم عليها

بالصدق و الكذب، مثال: القط فوق الحصير، أما القسم الثاني من الجمل فهي الإنشائية؛ و التي لا يمكن الحكم عليها بالصدق والكذب، و تنفرد بمجموعة من سمات منها: أنها تسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال وتتضمن فعلا من قبيل أمر أو وعد يراد منها إنجاز فعل ما، لذا تسمى الأفعال الإنشائية مثل: (أنا أعدك), هذا القول يتبعه أثر أو إنجاز.

ومنه تقابل كل جملة تامة مستعملة إنجاز فعل لغوي واحد على الأقل(102)، ويمكن الحكم عليها بالصدق والكذب من خلال الإثبات أو النفي الذي تحمله، وبالتالي تكون هاته الجمل مرتبطة بالحجاج.

ثم يميز أوستين في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، بين ثلاثة أنواع من الأفعال المتصلة بالحجاج هي كما ذكرها ديكر: " و الأفعال الصوتية (لفظ الأصوات)، الأفعال الاتصالية(تركيب الكليمات)، الأفعال البيانية (التعبير عن دلالة معينة)، وهي كلها مستقلة عن قوة اللفظ الداخلة في القول قابلة للبقاء عندما نغير هذا اللفظ "(103), حيث تقابل الأفعال الأولى التلفظ المرتبط بمخارج الحروف الفيزيائية، بينما الأفعال الثانية يكون النطق فيها متعلقا بمقاصد العبارة، أما بالنسبة لأفعال الثالثة أي البيان أو الخطابة فتعنى بالمقاصد الخارجة عن العبارة والمتصلة بالموقف الخطابي أو السياق, وبناء عليه تؤدي هاته الأفعال اللغوية دورا حجاجيا من خلال اقترانها بالإثبات والإنجاز، وفي هذا الصدد تقول آن روبول: "يميز (أوستين) بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية: العمل الأول وهو العمل القولي، وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما، أما الثاني فهو العمل المتضمن في القول وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما، وأما الثالث فهو عمل التأثير بالقول وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيء ما"(104)؛ يؤكد هذا القول على حقيقة مفادها أن الكلام يتضمن فعلا حجاجيا، ويكون ناتجا عن العلاقة التلازمية أو الاقتضائية بين أفعال الكلام, فالفعل الأول فعل الكلام، والثاني قوة فعل الكلام الذي يتبع الأول، ولكنه يكتسب قوته من الإثباتات التي يحتويها القول والتي تعتبر حجة، والثالث لازم فعل الكلام، وهو الأثر الناتج عن المراحل السابقة(105)، والذي ينعكس في السلوك عن طريق الإنجاز، بحيث يعد ثمرة أو نتيجة منطقية للفعلين السابقين، بل إنه يجسد الغرض التداولي من الكلام والمتمثل في التأثير، وهذا يقودنا إلى استنتاج مهم مغزاه أن الكلام مبني على أساس الحجاج, لذلك يمكن مقابلة الأفعال اللغوية ببناء منطقي تحدد ملامحه من خلال المقدمة والعرض أو الإثبات ثم النتيجة, وبالتالي يعكس هذا التسلسل رؤية حجاجية تداولية تتماهى في بنية القول.

ولكي تتضح الصورة أكثر نورد المثال الآتي: يقول الأب لابنه: (نظف أسنانك), فيرد الابن قائلا: (لا أشعر بالنعاس), نلاحظ أن الأب في جملة: (نظف أسنانك) ينجز عملا قوليا وعملا متضمنا في الوقت نفسه ويتمثل في أمر لابنه بتنظيف أسنانه، وبالمقابل ينجز الابن ثلاثة أفعال (أعمال) في جوابه: (لا أشعر بالنعاس) إذ يتجسد العمل اللغوي الأول في نطقه بالجملة، والعمل الثاني أي المتضمن في إخباره وإثباته عدم الرغبة بالنوم، وفي العمل الثالث ينجز عملا تأثيريا حجاجيا يتجلى في إقناعه لأبيه بعلة إهماله لتنظيف أسنانه من خلال قوله أن النعاس لا يداعب عينيه(106).

وعليه يستند الحجاج إلى الأفعال الكلامية لتحقيق التأثير على المتلقي سواء أكان في سلوكه أم معتقده وفق ما يقتضيه الموقف الكلامي، لكن هذه الأفعال قد تكتسب إضافات اجتماعية لها قواعدها ومعاييرها ضمن إطار العلاقة بين المتشاركين في الخطاب، هذه المعايير هي الكفيلة بأن تضمن نجاح أو إخفاق هذه الملفوظات، ليحكم عليها بالصدق أو الكذب, وبالتالي تتجاوز اللغة مرحلة التعبير لتصير نشاطا اجتماعيا تفاعليا*.

من هذا المنطلق تندرج الخطابات الحجاجية المختلفة في صميم نظرية الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية وأبنية أقوالها، والتي تنتمي إلى بنية اللغة باعتبار أن الحجاج مرادف للفعل(107) الذي يهدف لإحداث تغيير في سلوك المتلقي أو معتقده, هذا التغيير يرتكز أيضا على قاعدة أن بنية اللغة وبنية الفكر عبارة عن بنية واحدة (أي متطابقتان) من ثم تصبح اللغة أداة تواصل و تخاطب ووسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية(108).

فاللغة إذا ذات بنية حجاجية خاصة إذا اقترنت بغرض التأثير.

2-2- الحجاج في منظور سيرل (J.Searle) ظهرت اهتمامات سيرل بالحجاج من خلال حديثه عن القصدية أو كما (يسميها بالمواضعات) التي تعد شرطا أساسا في كل عملية كلامية(109).

يعرفها سيرل بقوله: "هي تلك السمة العقلية التي يمثل بها العقل داخليا الموضوعات والحالات في العالم"(110).

وتمثل هاته المواضعات الخلفية أو الواقع الذي يشكل القصد الجمعي حسب سيرل(111), ويستشهد على ذلك بمثال واقعي(112): توجد قريتان مثلا ويفصل بينهما سور يمثل هذا الأخير حاجزا بينهم، ولكن بمرور الوقت سيسقط السور بفعل الريح ولا يبقى إلا جزء صغير منه (صف واحد) ومع ذلك يظل سكان القريتين يحترمون السور الصغير بناء على تواضعهم عليه, ولهذا تحضى هذه التواضعات بالقبول وتخضع الحجة فيها للتسليم, وقد اقتفى سيرل في ذلك أثر أستاذه من خلال تأكيده أن بنية اللغة والفكر يمثلان شيئا واحدا إذ يقر أن العقل واللغة يشكلان بناء العقل اللغوي لدى الكائنات البالغة(113).

ومن السمات البارزة لهذا العقل أنه يربط الإنسان بالواقع (العالم الواقعي) عن طريق القصدية، يقول: "وعلى غرار ذلك تبرز حقيقة أن هناك طرقا مختلفة ترتبط بها المحتويات الخبرية بالعالم عن طريق أنماط مختلفة من الحالات القصدية, وتربط الأنماط المختلفة من الحالات القصدية المحتوى الخبري بالعالم الواقعي"(114).

ولذلك يقال "الاعتقادات والافتراضات إنها صحيحة أو كاذبة استنادا إلى ما إذاكان العالم حقا هو الطريقة التي يمثلها الاعتقاد كوجود"(115).

فالعالم الخارجي إذا هو مقياس الصدق والكذب، وبالتالي فملاءمة الكلمات للواقع (العالم) يمثل نجاحها أو صدقها ومخالفتها للواقع يشكل إخفاقها أو كذبها، مما يجعل الحجاج مرهونا بمدى مطابقته لهذا الواقع.

ومنه تصنف الملاءمة على أنها معيار للنجاح أو الإخفاق وهي تتجه حسب سيرل نحو وجهتين(116):

1- من العالم إلى العقل.
2- من العقل إلى العالم.

يقول سيرل: "فالاعتقادات، والإدراكات، والذكريات لها اتجاه ملاءمة من العقل إلى العالم، لأن هدفها يكمن في أن تمثل الكيفية التي توجد عليها الأشياء، وللرغبات والمقاصد اتجاه ملاءمة من العالم إلى العقل، لأن هدفنا لا يكمن في تمثيل الكيفية التي توجد عليها الأشياء، بل الكيفية التي نود أن تكون عليها الأشياء أو نخطط لها لتكون عليها الأشياء"(117)، بمعنى أن القصدية تستند في عملها على الخلفية التي تنتج من خلال المعرفة المسبقة بحيث تمكن من الانسجام أو الملاءمة مع هذا العالم (بواسطة اعتقادات ورغبات)(118).

لكن قد تكون هاته الخلفية مشتركة بين الجميع مثل: أكل اللحم الخنزير عند المسلمين، أي إنها تحدد بحسب ثقافة المجتمع وطقوسه, وبناء عليه تعد القصدية في رأي سيرل أساس الكلام الإنساني في التواصل الذي يعرف بقصديته، قال: "يتعرف فيه المستمع إلى معناي، أي إنه يفهمني"(119).

ولعل أثر القصدية يتجلى بشكل واضح ضمن الخطاب من خلال اللغة التي تمثل مؤسسة إنسانية تسهم في خلق وقائع اجتماعية جديدة, فقول الرئيس الأمريكي مثلا: الحرب معلنة، يعد فعلا: إعلانا للحرب, وبالتالي أنتج واقعا اجتماعيا جديدا بواسطة منطوق أدائي، لأن الأفعال الأدائية توظف في خلق وقائع كما تحمل في طيتها إثباتا أو حجة تدلل على قصد المتكلم مما يجعل الحجاج مرهونا بالقصدية.

ومن هذا المنطلق يصرح سيرل أن عملية التلفظ تظهر في عدة أشكال انطلاقا من مبدإ القصدية، فقد تكون سؤالا أو حكما أو أمرا أو تحذيرا (إثباتات) يمكن الحكم عليه بالنجاح أو الفشل (الصدق أو الكذب)(120).

ولذلك سعى إلى توسيع دائرة الأفعال الكلامية لتشمل الحجاج متخذا من الفعل الكلامي قاعدة انطلاق يقول سيرل: "في تحليل اللغة الذي قدمته تتمثل الوحدة الأساسية في الفعل الكلامي(121).

حيث ربط بين الفعل الكلامي والتلفظ الذي يرد في مقام خطابي معين قائلا: "حينما أنفث واحدة من النفثات السمعية في موقف كلامي اعتيادي، فيمكن القول أنني أؤد فعلا كلاميا"(122), وتتنوع هذه الأفعال الكلامية

بحسب النفثات السمعية فقد تكون إطلاقا لحكم أو سؤال أو أمر أو تفسيرا لمشكلة علمية ما أو التنبؤ بحدث في المستقبل, ثم صنفها سيرل إلى أنواع بحسب أدوارها الحجاجية في الكلام إلى:

أ- الأفعال التمريرية: الفعل التمريري يمثل أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي الإنساني، فحينما نتكلم أو نكتب لبعضنا فإننا نؤدي أفعالا تمريرية كما هو الحال ضمن المراسلات وغيرها(123).

ولكن سيرل يميز بينها وبين النتائج أو الآثار المترتبة عنها، والتي سميت "بالأفعال التأثيرية" المتصلة بالأثر أو الإنجاز، يقول: "فمثلا: من خلال أمرك بأن تفعل شيئا، أدفعك إلى أن تقوم به، ومن خلال المجادلة معك قد أتمكن من حثك، وحين أصدر حكما قد أقنعك، ومن خلال رواية قصة قد أذهلك"(124).

فالفعل إذا في البداية كل جملة يمثل فعلا تمريريا، أما الأفعال الأخرى فتعكس الآثار المترتبة على المستمع مثل:

الحث، الإقناع، التوقع.

بيد أن ما يجعل الفعل التمريري متميزا عن الفعل التأثيري هي القصدية التي تمثل الحد الفاصل بينهما(125), إذ يشترط في الأفعال التمريرية توفرها على القصدية، ولهذا يقول سيرل: "يجب أن تؤدي الأفعال التمريرية قصديا"(126), ولذلك تحمل الكلمة معنى مقصودا فإذا نطقنا بوعد أو حكم مثلا فإننا نقصد ذلك الوعد, وبالتالي تكون القصدية مصدر قوة الفعل التمريري وحجاجه.

ب- أما الأفعال التأثيرية: لا يشترط فيها القصدية بخلاف الأولى، لأنها تمثل نتيجة مترتبة عن الفعل التمريري المتصل بالمعنى والقصد معا(127).

ومنه نقول أن الفعل الكلامي (التمريري) يرتبط بالحجاج من خلال الإنجاز، والمتمثل في أثر الفعل على المستمع, ولذلك فرق سيرل ضمن الفعل التمريري بين محتواه الخبري ونمطه الذي يتضمن هذا المحتوى الخبري إلى جانب قوة تأثيره (حجاجه) في النمط(128).

ومن هذا المنطلق ميز سيرل داخل بنية القول بين العمل المتضمن فيه الذي يسميه اسم القوة المتضمنة في القول وما يتصل بمضمون هذا العمل والذي يطلق عليه اسم المحتوى القضوي (النمط)(129), ولتوضيح ذلك نسوق المثال الآتي: عندما يقول شخص ما: أعدك بأن أحضر غدا.

فإن أعدك : اسم القوة المتضمنة في القول: أحضر غدا .

اسم المحتوى← القضوي (الإحالي)

- مثال آخر : - لتترك الغرفة رجاء.
  - هل ستترك الغرفة رجاء؟.
  - ستترك الغرفة.

نلاحظ في هذه المنطوقات أنها تعبر تحديدا عن خبر هو "أنك ستترك الغرفة", ولكننا بالمقابل نلمح أن كل منطوق فيها مختلف عن الآخر، فالأول طلب، والثاني سؤال، أما الثالث فهو توقع، ويسمى ذلك نمطا، بينما يكمن المحتوى القضوي في: ترك الغرفة.

وبناء عليه يوظف المتكلم هذه الأنماط لأداء المعنى المراد والذي يكون مرتبطا بشكل مباشر بالقصد(130), مع الإشارة إلى أن فكرة المعنى عند سيرل قد أسهمت إسهاما كبيرا في إثراء البحث الحجاجي*, حيث قاده بحثه في المعنى إلى وضع شروط تضمن نجاح الفعل اللغوي الحجاجي وفق متطلبات التواصل بين المتخاطبين(131)؛ إذ إن المتكلم يستخدم الجمل من أجل التفاهم وإقامة اتصال مع غيره، يقول سيرل: "فإن معنى المتكلم يبقى الصورة الأولية للمعنى اللغوي، لأن المعنى اللغوي للجمل يؤدي وظيفة تمكين متكلمي اللغة من استعمال الجمل لكي يعنوا بها شيئا في المنطوقات"(132)؛ أي إن المنطوق يحمل في طياته قصدا سواء أكان فعلا كلاميا أم جملة، قال سيرل: "حين يؤدي المتكلم فعلا كلاميا فإنه يفرض قصديته على هذه الرموز"(133).

ولذلك ينقسم القصد بحسب المعنى قسمين(134):

(1) - **قصد المعنى:** وهو القصد الذي يجب أن يكون فيه لمنطق المرء شروط صدق (حقيقة، إضافية).
(2) - **قصد اتصالي:** ويعرف بأنه: "القصد الذي يتعرف فيه المستمع المعرفة إلى معناي أي يفهمني"(135), ويعني أن هذا القصد يولد لدى السامع المعرفة بمعنى المتكلم، والذي يجعله يتعرف عليه (القصد).

وقد استفاد سيرل في هذا القسم من نظرية المحادثة لغرايس من خلال اهتمامه بالعملية التخاطبية وخاصة عندما يحاول أحد طرفيها بواسطة المحاججة التأثير في الآخر بأن يقنعه ويتواصل معه، يقول: "قد رأى غرايس مصيبا أننا حين نتصل بالناس فنحن نفلح في توليد فهم لديهم يجعلهم يتعرفون على قصدنا في توليد ذلك المعنى"(136).

فالاتصال إذا فعل إنساني يسمح فيه بإحداث أثر مقصود على المستمع عن طريق التأويل, ومنه يدخل الاتصال ضمن الحجاج لأنه يلتقي معه في عنايته بالمتلقي وظروف التواصل، وبالتالي تصبح حدود المعنى حدودا للقصد، وخاصة ما تعلق منها بوضع سيرل لمجموعة الشروط التي تضمن نجاح العمل المتضمن في سياق حديثه عن المعنى المتصل بمقام التواصل وأوضاع المتخاطبي(137)، أي (علاقتها بالمتكلم والمخاطب، وكذا اللغة)، ولذلك ترتبط هاته الشروط بالحجاج نظرا لاشتمالها على العناصر الأساس المكونة للخطاب والمتمثلة في: المتكلم، المتلقي، المقام، إضافة إلى القواعد التي يتم مراعاتها ضمن العملية التواصلية والتي تضمن نجاحها أو إخفاقها.

ومن هذا المنطلق ترى آن روبول أن سيرل ميز بين القواعد التحضيرية المتصلة بالسياق (الموقف الاتصالي) والتي تمكن المتخاطبين من الحديث باللغة ذاتها وبنزاهة(138)، وهي كالآتي:
- قاعدة المحتوى القضوي: يقتضي الوعد من القائل مثلا إنجاز عمل في المستقبل.
- القواعد الأولية المتعلقة بالاعتقادات أو كما تسمى بالخلفية: يسعى المتكلم من خلال الأمر أن ينجز المخاطب العمل الذي أمر به, ولهذا ليس من المعقول إنجاز العمل دون الأمر.
- قاعدة النزاهة: وترتبط بالحالة الذهنية للقائل، ولذا تعد قاعدة أساسية في كل تحاور يهدف فيه المرسل إلى التأثير على المتلقي، ولذلك يفترض بالنسبة للمتكلم أن يكون نزيها عند الوعد أو الإثبات. -
القاعدة الجوهرية: وتحدد هاته القاعدة نوع التعهد الذي قد يقدمه أحد المتحاورين، إذ يتطلب الوعد مثلا التزام القائل بمقاصده.
- قواعد المقصد والمواضعة: تعين مقاصد المتكلم والكيفية التي ينجز بها هاته الأغراض بواسطة المواضعات اللغوية التي تؤطر الكلام(139).

حقا، لقد مكن هذا التمييز أو التحديد سيرل من إعطاء تصنيف جديد للأفعال اللغوية انطلاقا من الأفعال المتضمنة، والتي أوردها كمايلي(140):
(1) – الإثباتات (الحجاجيات) : وذلك حين تبلغ خبرا، وهي تمثيل للواقع كما تقبل الصدق و الكذب.
(2) - الأدائية (التوجيهات) : تحمل المخاطب على إنجاز فعل معين ولا يمكن أن تكون صادقة أوكاذبة مثل الطلبيات.
(3)-الإلزامية: نحو (أفعال التعهد)، تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل المتمثل في المحتوى الخبري مثل: النذور، المواعيد، التهديد، الرهون, ولا تقبل الصدق ولا الكذب, لكن يحافظ عليها وهي تمثل نمطا من التكليف يلتزم بها الملتزم بفعل شيء معين وشرط الصدق المعبر عنه هو: القصد.
(4)- التعبيرية (التصريحات): الأفعال التعبيرية تعبر عن شرط صدق الفعل الكلامي، وهي تصف حالة مصحوبة مع شروط صدقها مثل: الاعتذارات، التشكرات، التهاني، التعزيات, فالمتكلم يكون صادقا إذا كان يشعر فعلا بالأسف حين يقول: أعتذر لك.
(5)- الأفعال الإنجازية: تكون بمجرد التلفظ بها، نحو: أنا مطرود، مستقيل, ولكن هاته الأفعال التي يوظفها المتكلم تخضع للمقام ومقتضياته وكذا حال المستمع، وهي ذات صلة بالحجاج بالنظر إلى

الأثر الذي تحمله, ومنه وضع سيرل شروطا للكلام الحجاجي المتعلق بحالة الإثبات والنفي بحيث يقبل الصدق أو الكذب وهي(141):

(أ)- شروط الصدق, (ب) - الشروط التمهيدية, (ج) - شرط المضمون القضوي, (د)- الشروط الجوهرية. بالنسبة إلى الحجة المثبة أو المبطلة يكون المتكلم موفقا في أداء حجته مثبة أو مبطلة متى استوفى الشروط التالية: (1)-الحجة المثبة(142):

أ- شرط المضمون القضوي: يجب على المتكلم أن يأتي بمجموعة أحكام جازمة تتضمن قضية مخصوصة.

ب- الشروط الجوهرية: أن يقدم هذا الأخير أحكاما وأدلة تثبت الدعوى قصد إقناع المستمع بها.

ج- شروط الصدق: ينبغي للمتكلم اعتقاد صدق الدعوى التي جاء بها لإثباتها.

د-الشرط التمهيدي: يجب أن يعتقد المتكلم أن المستمع لا يسلم بالدعوى، ولكنه يسلم بالقضايا التي جاء بها لإثباتها.

(2)- شروط الحجة المبطلة :

أ- شرط المضمون القضوي: يلزم المتكلم أن يأتي بمجموعة أحكام قطعية تخص قضية معينة.

ب- الشرط الجوهري: على المتكلم تقديم مجموعة أحكام وأدلة تبطل الدعوى؛ أي إنه يسعى إلى إقناع المخاطب ببطلان هذه الدعوى.

ج- شرط الصدق: أن يعتقد المتكلم كذب الدعوى وصدق القضايا التي جاء بها لإبطالها.

د- الشرط التمهيدي: أن يعتقد المتكلم أن المستمع يسلم بالدعوى وبالقضايا التي جاء بها لإبطالها.

هاته إذا هي الشروط الضرورية التي تسهم في نجاح أو فشل الحجاج(143).

نستنتج مما تقدم أن سيرل تناول الحجاج من زاوية نظرته إلى الفعل الكلامي المرتبط بالقصدية والمؤثر على الكلام من خلال الإثبات أوالنفي الذي يحمله، ولهذا لقيت آراؤه اهتماما كبيرا عند الحجاجيين وبخاصة ديكرو*.

والمقابل لا تدرس التداولية الأفعال الكلامية فقط، بل تعنى أيضا النجاح المشترك الذي يتحقق ضمن التخاطب أو التحادث في ضوء موقف كلامي معين(144)، ولذلك وضع التداوليون قواعد ومبادئ خاصة تضمن استمرارية المحادثة, إذ إن هذا التخاطب يعد نمطا حواريا (قائما بين متكلم ومخاطب)، تعرض فيه الحجج الأقوال أو المحاجة وفق منطق المحادثة الذي استنتجه غرايس من خلال ملاحظته للعملية التواصلية, فالحوار إذا يمثل أساس الحجاج في التداولية لأنه يبرز وبشكل واضح في الخطاب(145).

2-3- قواعد المحادثة عند غرايس: (H.P. Grice)

ومن أهم الجهود التداولية التي عنيت بالتحادث والتخاطب ما عرف: بمنطق المحادثة لغرايس, وهو مقال نشر سنة 1957 ويمثل نقلة نوعية في مجال التداولية، حيث استنتج غرايس جملة من القواعد والمبادئ المتعلقة بالعملية التواصلية، وبالتالي تصبح كل مناقشة أو محادثة حسب رأيه تقوم على قواعد محددة يتم من خلالها تحديد نجاح أو فشل هذه العملية الحوارية(146).

لقد أدخل غرايس مفهومين مهمين هما: مبدأ التعاون والاستلزام الخطابي ويعدهما أساسا لكل عملية تخاطبية(147), وفي الحقيقة إن إلمامه بعناصر السياق والإطار التواصلي قد جعله يقدم ملاحظات قيمة ساهمت فيما بعد في تطوير الدرس التداولي، ولذلك يعد القول عنده: "حاصل التلفظ بجملة وهو يتغير بتغير هذه الملابسات والقائلين"(148), وبناء عليه يعد مبدأ التعاون والاستلزام الخطابي دعامة الأساسية سواء في إنتاج الأقوال أم تأويلها أثناء المحادثة أو الحجاج، تقول آن روبول: "يفترض غرايس أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون، فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله"(149).

ولكن مبدأ التعاون يستند إلى مجموعة قواعد يجب على المتخاطبين مراعاتها واستغلالها، وهي كما يلي(150):

(1) - مبدأ الكم: امتلاك المناقش لكمية من المعلومات المطلوبة لازدياة فيها ولا نقصان، لأن الزاد ضروري من أجل إنجاح المحادثة، إذ شعاره: "لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته"(151).
(2)- مبدأ الكيف: المساهمة في النقاش تكون حقيقة لا تؤكد ما يعتقده صاحبها أنه خطأ، أي: لا تقل ما ليست لك عليه حجة.
(3)- مبدأ العلاقة: يجب التحدث في صميم الموضوع، ويشمل ذلك علاقة أقوال القائل السابقة بأقوال الآخرين.
(4)- مبدأ النوع: الوضوح في الكلام وتجنب الالتباس في الحديث وذلك بتجنب الغموض مع مراعاة الاختصار و المنهجية, فنزاهة القائل مثلا تقضي ألاّ يكذب في استعمال الحجج الكافية لإثبات ما يثبته.

وإذا هاته هي: "القواعد ضرورية من أجل تحقيق التفاهم و التواصل على الطرفين وعليه فهي تمثل: منطلقات لكل حديث يجري بين طرفي الخطاب"(152)، وعليه فالحجاج يرتبط برباط وثيق بهذا المبدأ.

أما المفهوم الثاني لغرايس هو الاستدلال الخطابي والذي يقابل "ما تم تبليغه"(153), ويقر غرايس بوجود طريقتين لتبليغ هما: طريقة تواضعية تستدعي استلزاما تواضعيا، وطريقة محادثية تقتضي استلزاما محادثيا(154)؛ مثال ذلك لنفرض شخصا ما مثل أحمد يعتقد أن الجزائريين شجعان, ويريد تبليغ ذلك إلى عمر, إذ يمكن أن يبلغه بثلاث طرق هي: أن "الجزائريين شجعان "، أو "محمد جزائري... إذا هو شجاع, أو محمد جزائري إنه شجاع "، في الحالة الأولى: ما يقصد أحمد تبليغه (أن الجزائريين شجعان) وبالتالي تستوفي هذه الجملة الدلالة التواضعية لها بتأويل القول.

وفي الحالة الثانية يبلغ أحمد أكثر مما يقوله حينما يقول محمد جزائري و أنه شجاع يبلغ أنه شجاع باعتباره جزائريا، فيستنتج منه أن الجزائريين شجعان، ويصبح بذلك استلزاما خطابيا، ولكن هذا الاستلزام في الحالة الثانية تولد بكيفية تواضعية بواسطة كلمة (إذا).

أما الحالة الثالثة وإن اتفقت مع الحالة الثانية في أنه يبلغ أكثر مما يقوله (محمد جزائري...وإنه شجاع فالجزائريون إذا شجعان، فإنها تخالفها في كون حضور الاستلزام الخطابي ليس ناتجا عن التواضع أي بفضل كلمة إذا، وهذا هي ميزته الخاصة.

ولذلك يرتكز الاستلزام الخطابي على الاستدلال في مجال تأويل الأقوال،كما تحكمه قواعد ليست مجرد معايير يجب اتباعها، بل إنها تمثل تصورا لما يتوقعه المتخاطبون عنه, وبالتالي تعد في الأصل مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد سلوك، ولذا تدرج ضمن سياق التيار المعرفي(155).

وبناء عليه توظف هاته القواعد المحادثية في إطار ينبغي لطرفي الخطاب احترامها، وإن خالف أحدهما قاعدة من قواعده رد به إليها, مثلا: عندما يسأل شخص شخصا آخر "أين ولد البشير الإبراهيمي" فيرد الآخر قائلا: " في مكان ما من الجزائر", فإجابته هذه تنتهك قاعدة الكم التي تفرض عليه تقديم المعلومات الكافية وبالتالي قد يستنتج الشخص السائل أن المجيب لا يعلم مكان المولد الحقيقي للبشير الإبراهيمي.

ولكن بالمقابل يوجد الاستلزام الحواري (الحجاجي) الناتج عن الاستلزامات الخطابية(156), يقول الأب لابنه مثلا "نظف أسنانك" فيجيبه ابنه "لا أشعر بالنعاس" لتكون نتيجة حتمية لاستثماره قاعدة العلاقة, ذلك أن رفض تنظيف الأسنان هو استلزام محادثي، إذ لا توجد فيه مواضعة بين النوم ونظافة الأسنان، وهذا الاستدلال يمثل أيضا نمطا من الاستلزام الحواري (الحجاجي)، وعليه فإن الاستلزامات الخطابية وخاصة الحوارية تتولد عن طريق الاستدلال(157), ولذلك تكون مقيدة بقواعد المحادثة والاستدلال باعتبار أن نمطها الشكلي ينطلق من مقدمات منطقية تؤدي بالضرورة إلى نتيجة، ويتوقف فيها على صدق هاته المقدمات أو كذبها، والتي تؤدي إلى صدق أو كذب النتيجة المتوصل إليها.

ولكن الاستلزام الحواري (الحجاجي) لا يعتمد هذا النمط البرهاني الأرسطي بل يقوم بصياغة آلية للفرضيات وإثباتها, وبالتالي يكون الاستلزام الحواري عرضة للخطأ وسوء الفهم أو البطلان(158), ومن سماته أنه لا يعكس مظاهر القول التي يريد القائل فيها تقييم مدى صدقها أو كذبها (غير مشروطة الصدق).

وهكذا تفسر نظرية غرايس نجاح التواصل (خصوصا التواصل الضمني) وإخفاقه(159).

وقد استفاد الحجاجيون من آرائه حول الحجاج والذي يعد حوارا بين متكلم ومتلقي تحكمه قواعد غرايس, تقول آن "بأننا حين نتكلم فنحن نسعى من جهة إلى حمل المتخاطب على أن يتقاسم آراءنا أو التمثيلات المتعلقة بموضوع معين, ويسعى من جهة أخرى إلى حمل الآخرين (المستمعين) على الاقتداء بأكبر عدد ممكن من آرائنا"(160).

نستنتج مما سبق ذكره أن فكرة الحجاج تلبورت في نظرية الفعل الكلامي من خلال أعمال أوستين وسورل، هذا الأخير حاول ربط الفعل الكلامي بالحجاج عن طريق النفي والإثبات أو الصدق والكذب, بينما غرايس درس الحجاج من منطلق تواصلي ضمن شروط محددة.

وكل هاته الآراء والاتجاهات مهدت لديكرو الذي أرسى معالم نظرية الحجاج وأصولها المعرفية.

2- 4- الحجاج عند ديكرو(O .Ducrot):

يعد "ديكرو" من مؤسسي نظرية الحجاج* باعتبارها نظرية لسانية تهتم بدراسة الوسائل اللغوية وإمكانات اللغات الطبيعية التي يملكها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، لأنها تنطلق من فكرة مفادها: "أننا نتكلم بقصد التأثير(161).

ولذلك تؤدي اللغة عند ديكرو وظيفة حجاجية انطلاقا من بنية أقوالها، يقول: "إن التسلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما ترتبط بالبنية اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشتمل عليها"(162).

في الحقيقة لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من صلب نظرية الأفعال اللغوية التي قدمها أوستين وسيرل ضمن مجال الأفعال الكلامية، ثم قام ديكرو بتطوير آرائهما المتعلقة بالأفعال اللغوية فأضاف فعلين آخرين هما: (1)- فعل الحجاج، (2) - فعل الاقتضاء(163)، مما يعني أن الحجاج في رأيه لغوي (لساني)(164), ومنه عرف ديكرو الإنجاز (التلفظ): "بأنه فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة الحقوق والواجبات, ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار"(165), وبالتالي تغدو القيمة الحجاجية لقول ما نوعا من الإلزام المتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره, في حين تكون العلاقات القانونية (الواجبات/ والحقوق) محددة للمجال الخطابي، أي بكيفية تموضع المتكلم والمخاطب (طرفي الخطاب) فيصبح الخطاب بذلك غاية لا وسيلة(166), إذا ما هو الحجاج؟.

1- الحجاج (مفهومه ومبادئه):

الحجاج يعني تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، أو إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب(167).

و يُعرف : "بأنه إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"(168), وبناء عليه تحمل اللغة سمة حجاجية، لأن آليتها الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال التي تعد أساس التراكيب اللغوية التي تؤدي دورا إقناعيا وتأثيريا, وتتمثل هاته البنية فيما يسمى بالملفوظات وتوظيفها داخل الخطاب(169).

وقد تناول ديكرو مفاهيم الحجة(170) التي تمثل بناء استدلاليا أو عنصرا دلاليا يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر قد يرد في شكل قول أو نص أو مشهد طبيعي أو سلوك غير لفظي كما تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق(171).

وتتميز هاته الحجج اللغوية بجملة من الخصائص منها(172):

(أ) - أنها سياقية: إن الحجة التي يقدمها المتكلم قد تؤدي إلى حجة أخرى، بحيث يمنحها السّياق صبغة حجاجية، وبهذا تكون العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة حجة أو نتيجة، وذلك بحسب السياق(173).

(ب) - نسبية: إذ تحمل كل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما يدافع بها عن قضية معينة لكن في المقابل يستدل الخصم بحجة قوية مناقضة ومضادة لها تكون أقوى منها، أي إن هناك حججا قوية وضعيفة، تترتب بحسب درجتها(174).

(ج)- قابلة للإبطال: يمكن للحجة أن ترفض أو تنقض بواسطة حجة أخرى أقوى منها(175).

فالحجة إذا تتصف بالنسبية والمرونة كما أن لها طابعا تدرجيا وسياقيا بالإضافة إلى قابليتها للإبطال, غير أن هاته الحجة ترتب بحسب القوة والضعف في سلم يسمى السلم الحجاجي(176).

1-1 **السلم الحجاجي**:

يعرف ديكرو السلم بأنه: "فئة حجاجية موجهة"(177) أو نظام ترتيب للحجج، وينص على أن(178):

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة.

ب- إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن)، فهذا يستلزم أن (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إلى النتيجة نفسها، والعكس غير صحيح (علما أن أ، ب، ج،د حجج).

وبالتالي يصبح السلم عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال تكون مزودة بعلاقة تراتبية وتحكمه مجموعة من القوانين الداخلية(179), نذكر منها :

أ- قانون النفي: ومفاده إذا كان قول ما (أ) مستخدما من طرف المتكلم ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (لا أ) يصبح حجة لنتيجة مضادة(180)، مثال: محمد مجتهد، فقد نجح.
محمد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح.

فإذا اعتبرنا (أ) ينتمي إلى النتيجة (ن) في المثال الأول، فإن المثال الثاني (لا أ) ينتمي إلى النتيجة المضادة (لا..ن).

ب- قانون القلب: يرتبط هذا القانون بالنفي، ويعد مكملا له، ومقتضاه أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية يكون عكس سلم الأقوال الإثباتية(181), أي إنه عندما تغدو إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في قوتها الحجاجية لدلالة على نتيجة معينة يصبح نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على نتيجة مضادة, مثال ذلك:

- محمد لا يحترم والديه

السلم الحجاجي

- محمد لا يحترم جيرانه   - لا يحترم جيرانه
- لا يحترم والديه

ج- قانون الخفض: ينص قانون الخفض على أن القول إذا صدق في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي يقع تحتها(182), مثال: الجو ليس بارد
لم يحضر كثير من الأصدقاء

يتم فيها استبعاد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد البرودة، أو أن الأصدقاء كلهم حضروا.

ثم تؤول هاته الجمل كما يلي:

- إذا لم يكن الجو باردا فهو دافئ أو حار, - لم يحضر إلا القليل من الأصدقاء إلى الحفل.

2-1 - **الاتجاه الحجاجي وعلاقته بالسلم:**

يرتبط بمفهوم السلم مفهوم آخر هو الاتجاه الحجاجي الذي يحدد مسار الحجاج(183)، فإذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي (هذا الأخير يكون صريحا أو مضمرا)، ولذلك إذا كان القول معينا أي مشتملا على الروابط والعوامل الحجاجية فإن هاته الأدوات والروابط تكون حاملة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تمثل الطريقة التي يتم بها توجيه

القول أو الخطاب، أما إذا كان القول غير معين فإن التعليمات تكون محددة للاتجاه الحجاجي الذي يستنتج من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السياق التداولي والخطاب العام(184).

1-2-1- الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية*:

ذكرنا سابقا أن اللغة ذات طبيعة حجاجية وبنية حجاجية، وعليه تتضمن الأدوات والروابط الحجاجية التي لا يمكن أن نعرف قيمتها الحجاجية إلا بالعودة إلى سياقاتها.

ولذلك يعد الحجاج فعلا لغويا مؤشرا له بالروابط والأدوات وعبارات مهمتها القيام بعمليات حجاجية(185).

من هذا المنطلق خرجت اهتمامات ديكرو بالروابط نظرا لما تؤديه من دور كبير في الخطاب؛ تقول آن روبول: "قد أدت أعمال أوزوالد ديكرو إلى شيوع الروابط التداولية أو الخطابية في علم الدلالة وفي التداولية أساسا"(186), هاته الروابط تسهم في تسهيل عملية تأويل الخطاب*، أي فهم الخطاب وكذا توجيه العمليات التأويلية، وبالتالي "تقوم الروابط بدور مهم في عمليات فهم الخطاب...بل تساهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية ولا يمكن التأويل من دونها" (187), فالروابط إذا تتعلق بالطبيعة الإجرائية.

وإذا تأملنا اللغة العربية مثلا فإننا سنجد كثيرا من الروابط مثل: لكن، بل، إذا، لاسيما، إذ، لأن، بما أن....مع ذلك، ربما تقريبا، إنما ، ما ...إلا...إلخ.

وقد اقترح ديكرو وصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات باعتبارها بديلا للوصف التقليدي, مثال ذلك: كلمة (حتى) مثلا دورها ليس مقتصرا على إضافة معلومة للقول بل إدراج حجة جديدة أقوى من المذكورة قبلها (بحيث تضفي قوة حجاجية في القول) يقول ديكرو: "لنأخذ ملفوظة كتب جاك فروضه حتى أنه تناول حساءه دون عبوس" فإن وجود (حتى) "يعني أن الجملة الثانية هي أكثر إذهالا وأكثر مفارقة من الجملة الأولى"(188), أما العوامل الحجاجية فمثل قولنا: الساعة تشير إلى الثامنة, ولا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

نلاحظ في هذا المثال أن أداة الحصر (لا...إلا) هي عامل حجاجي يخدم نتيجة واحدة(189).

3- المبادئ الحجاجية:

لا يكفي وجود الروابط والعوامل الحجاجية لضمان سلامة العملية الحجاجية، بل لا بد من وجود قاعدة تضمن الربط بين الحجة والنتيجة, هذه القاعدة تعرف بالمبادئ الحجاجية(190)، وهي تمثل قواعد عامة تجعل الحجاج ممكنا، وتتميز بمجموعة من الخصائص(191):

(1) - أنها تشمل مجموعة المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل المجموعة بشرية معينة.
(2) - العمومية: إذ تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة.
(3)- التدرجية: تقيم علاقة بين محمولين تدرجين أو بين مسلمين حجاجيين (العمل/النجاح).
(4)- النسبية: يمكن إبطال مبدإ حجاجي بالرجوع إلى السياق الذي يرد فيه.

وبالتالي تمثل المبادئ الحجاجية مجموعة المسلمات والمعتقدات المشتركة بين الأفراد (التواضعية) لمجموعة لغوية بحيث يسلم الكل بصدقيتها وصحتها (لأنها تعد معيار فشل أو نجاح العمل)(192).

وهكذا يعد الحجاج من منظور ديكرو لغويا، إذ إنه ينطلق من بنية الداخلية للغة أو الخطاب وبالتحديد من التلفظ الذي سبق بحثه مع أوستين وسورل والمحادثة أيضا(193), ولذلك أدرجت أعماله ضمن علم الدلالة*.

ونستنتج مما تقدم أن النظرية الحجاجية اللغوية تخالف التوجه البلاغي الجدلي الذي قاده بيرلمان، لأنها تبتعد عن المنطق، وتنكب على دراسة الخطاب، يقول ديكرو: "إن البرهنة والحجاج بالنسبة إلي يتصلان بنظامين مختلفين تماما، نظام ما نسميه عادة "المنطق"، ونظام ما أسميه "الخطاب"(194).

في الأخير نخلص إلى تسجيل بعض الملاحظات نحدد بواسطتها جملة من التقاطعات المعرفية التي صاحبت مسيرة البلاغة ثم علاقتها بالتداولية:

3- البلاغة بين عهدين:

تحدثنا في سياق سابق عن البلاغة الحجاجية التي اتضحت معالمها مع أرسطو من خلال مؤلفه المعروف "الخطابة" حيث يعد أهم كتاب أنجز، وقد أحدث ثورة حقيقية في تلك الفترة باعتراف بارث في وقت كانت البلاغة تعيش ركودا وعزلة بسب أغلال الصياغة والزخارف، يقول بارث: "ويعود تراجع البلاغة بالأساس إلى اختزالها في نظرية الصياغة التي قيدتها بالبحث في الصورة والوجوه والزخارف...إلا أن أهم مصنف في البلاغة يبقى كتاب أرسطو في هذا الفن"(195).

ولعل تميز هذا الكتاب يرجع إلى تركيزته على الوظيفة الإقناعية التي استخلصها من بحثه ضمن المنطق الجدلي أو التواصل اليومي مما أعطى للبلاغة بعدا حجاجيا انعكس في اهتمامها بالحجج ومقامات التواصل التي حصرها ضمن ثلاثة أجناس: القضائية، الاستشارية، الاحتفالية(196), وكما ذكرنا في الفصل الأول قاده ذلك إلى وضع أسس الدرس الحجاجي، و قد دفع هذا بيرلمان إلى نعته بـ"أب الحجاج" اعترافا منه بفضله ومكانته في الدرس البلاغي الحجاجي، ولهذا وقف بيرلمان عند بلاغة أرسطو.

ولكن بالمقابل رغم استفادة البلاغة الجديدة من القديم (بلاغة أرسطو) إلا أنها غيرت بعض المفاهيم التي حولت مسار الدرس البلاغي الحجاجي، ليتخذ نمطا خاصا من التحليل بمنهجية وأهداف مختلفة وهو ما سنبينه في الآتي:

- إذا كان الحجاج يهدف إلى تحقيق الإقناع عند أرسطو(197)، فإنه من منظور البلاغة الجديدة يسعى للحصول على الاقتناع(198)، ذلك أن الإقناع يعتمد الفرض والإجبار بتقديم الحجج والبراهين في حين يرتكز الاقتناع على قابلية النقض بالنسبة للحجج واحتماليتها؛ أي إنها تخضع للمناقشة حتى يحصل التسليم والإذعان, وإذا يكمن الفرق بينهما في أن المخاطب في الحالة الأولى يقنع دوما بالحجج فهو مجبر لا مخير, بينما الحالة الثانية تفتح له مجال الحوار والنقاش ليكون اقتناعه عن طيب خاطر مما يعني أن النتيجة الثانية أحسن من الأولى.
- حصر أرسطو مجال الحجاج في ثلاثة أجناس: القضائية، الاستشارية، الاحتفالية استنادا إلى مقام المخاطب الذي يكون إما قاضيا أو سياسيا أو جمهورا حاضرا في ساحة عمومية(199)، أما بيرلمان فقد وسع دائرة الحجاج لتشمل الفلسفة والنقد والقانون واللسانيات...وحتى الحياة اليومية, فهي نظرية عالمة(200) (أي إنها تغذت من علوم شتى) والمخاطب فيها قد يكون جمهورا أو قارئا بل قد يكون المتكلم نفسه الذي يستخلص من ذاته ذاتا أخرى تحاوره، فبيرلمان إذا لا يشترط الحضور بخلاف أرسطو.
- صنف أرسطو في كتابه الصور والوجوه البيانية إلى محسن كلمة ومقوم حجاجي، مما جعله يسقط في تناقض تجلى ذلك ضمن (الاستعارة) حيث اعتبرها محسنا لفظيا، وفي موضع آخر مقوما حجاجيا مثل الشاهد(201).

بينما عدّها بيرلمان مقوما حجاجيا أساسيا بالنظر إلى قيمتها الحجاجية في الكلام ولهذا عارض تقسيم أرسطو, بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث اعتبر المحسنات التي أهملها مقومات حجاجية يقول: "إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة, وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع(202).

في هاته العبارة يبطل بيرلمان التمييز القائم بين المحسنات البلاغية والمقومات الحجاجية, وذلك بجعله المحسنات تكتسب دورا حجاجيا،إذ إنها تسهم في تغيير موقف المتلقي.

- إضافة إلى ما ذكرنا سعت البلاغة الكلاسيكية ممثلة في أرسطو حسب هنريش بليت إلى تقديس القواعد التي كبلت البلاغة زمنا طويلا(203)، يقول: "ومع أن هذا النسق بقي 2500 سنة من عمره غير كامل، وتعرض لتغيرات متوالية فإن وظيفته الأولى بقيت ،مع ذلك، واحدة وهي إنتاج نصوص حسب قواعد فن معين"(204).

فالبلاغة القديمة إذا صبغت بصبغة معيارية خالصة، ثم يقارن "بليث" بينها وبين البلاغة الجديدة قائلا: "أما المفهوم العلمي الحديث للبلاغة فإنه مخالف لذلك، بل إنه عكس المفهوم السابق، إذ لم يعد الهدف الأول للبلاغة العلمية هو إنتاج النصوص بل تحليلها"(205)؛ أي إن البلاغة الحديثة تتمسك بوصف النصوص لا بإنتاجها، إذ تركز على الجانب التحليلي المرتبط بالتأويل, وبالتالي تختلف مع البلاغة القديمة في منهجها.

وعليه شهدت البلاغة تطورا كبيرا حتى صارت تنافس الأسلوبية وتحليل الخطاب في تحليل النصوص وتأويلها، يقول رولان بارث: "الانتقال من الرغبة في إنتاج الخطاب إلى دراسة خصوصياته، أي إنها قد تخلت عن نزعتها المعيارية المتمثلة في فرض القواعد لتهتم برصد الوقائع فقط، فهي تتحول من لغة موضوع إلى لغة واصفة، وهو ما يجعلها تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة كتحليل الخطاب والقراءة"(206).

وكان من نتائج هاته النقلة تحول البلاغة إلى علم مستقبلي، بمعنى أنها أصبحت علما عاما للخطابات(207) ولذلك سميت بـ"البلاغة العامة" التي لمعت فيها أسماء كثيرة في مقدمتها شايم بيرلمان ورولان بارث(208)...

لكن هذا التطور الذي عرفه الدرس الحجاجي البلاغي الحديث وما صاحبه من اختلافات مع القديم لا يزال يدين في جزء كبير منه إلى جهود أرسطو وإسهاماته التي استفاد ت النظرية البلاغية الجديدة(209).

4-البلاغة والتداولية:

إن الغرض التداولي للحجاج أو البلاغة منذ القديم هو الإقناع(210), ولقد بحث أرسطو في الطرق المؤدية إليــه (الإقناع) والتي ترتبط بالتواصل اليومي من خلال وضعه لمجموعة من الإمكانيات الفكرية والعاطفية وكذا اللغوية بغية تحقيق الاستمالة والإقناع، مما أعطى البلاغة أو الحجاج صبغة تداولية(211)، لأن الوظيفة الإقناعية تعد فرعا من وظيفة اللغة التواصلية، ومعلوم أن التداولية تهتم بالتواصل والاستعمال اللغوي أي توصيل المعنى وفق متطلبات المقام(212), وهذا ما تشترك فيه مع البلاغة التي هي فن الإقناع بواسطة الكلام(213), ولكي نتبين طبيعة العلاقة بين التداولية والبلاغة نستشهد برأي بليث في هذا الموضوع حيث يقول: "إن توجه البلاغة نحو الأثر (التداولي) يظهر في تمييزها منذ القدم بين ثلاثة أنماط من المقصدية، واحد منها فكري واثنان عاطفيان، أحدهما معتدل والثاني عنيف (انفعالي أو تهييجي)"(214) ؛ هذه المقاصد تقابل بالأحرى ترتيب أجزاء الخطاب الذي تحدث عنه أرسطو، والتي تحوي مكونين برهانين هما (العرض- الحجاج) ومكونين عاطفين هما (المقدمة – الخاتمة)(215), ونوضح ذلك فيما يلي:

1- **المقصدية الفكرية**(216): وتضم مكونا تعليميا وحجاجيا وكذا أخلاقيا؛ هاته المكونات متداخلة فيما بينها:

أ- **الغرض التعليمي**: يعنى بعرض الخبر للمتلقي عرضا موضوعيا دون تدخل الذات فيه, ويوكل هذا العمل إلى الخطاب .

ب- **الغرض الحجاجي**: يهدف إلى جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل، من خلال الاستعانة بالحجج المنطقية أو شبه المنطقية (القياس..) أو الحجج غير الصناعية مثل (الشهود، العقود..) بغية إقامـة واقع برهاني.

ج- **الغرض الأخلاقي**: ويرتبط بالدعوة إلى الأخلاق ويشمل هذا الغرض عناصر تعليمية تتمثل في تعليم المجتمع مثل (النصح)، وحجاجية تتجلى في استحضار العقل.

2- **المقصدية العاطفية المعتدلة**(217): وتشمل الإيتوس أو طبائع الخطيب، حيث يستثمرها المتكلم في استمالة المتلقي وكسب تعاطفه، ويحمل مكونين الأول غائي والثاني غير غائي:

أ- **غرض المكون الغائي**:ويحاول فيه الخطيب أن يحضى باقتناع الجمهور عن طريق التأثير بحاله أو بقضيته, فهي تتضمن قصدا.

ب- **غرض المكون غير الغائي**: وهو أن يحمل الخطاب في داخله متعة جمالية للجمهور، والتي تتوالد من داخل النص دون توفر نية مسبقة للخطيب.

3- **مقصديه التهييج**(218): وتبرز في الانفعالات العنيفة التي تصاحب الجمهور، نحو: الحقد، الألم، الخوف, أو الباطوسات التي يحدثها الخطيب في المتلقي لأجل إقناعه والتأثير عليه.

وتتلخص جل هاته المقاصد في مقصد تداولي أساسي واحد ألا وهو الإقناع المرتبط بالبلاغة والذي يتضمن بعدان: إقناع عقلي وذاتي (عاطفي)، وبالتالي يكون هذا القصد موضع اتفاق بين البلاغة والتداولية.

ويضاف إلى ذلك نقطة اشتراك أخرى تتمثل في المقام، إذ كلاهما يهتم به ويوليه عناية خاصة قال بليث: "تقوم النظرية التداولية للنص على مفهوم مقام الخطاب، وقد كانت البلاغة الكلاسيكية تختار كنقطة انطلاق لها

مقام الخطاب القضائي، حيث كان المحامي يقف في الموقف المخصص له ليتهم أو يرد الاتهام وهو يسعى إلى كسب رضا القاضي"(219)، فالبلاغة إذا تربط الكلام بالمقام الذي يوجه إليه، حيث إن مقام القاضي غير مقام السياسي، ولذلك تعد النظرية البيرلمانية مقاميه في حد ذاتها(220), بينما يشكل المقام في التداولية أحد أهم عناصر التواصل والمؤطر للكلام, ولذلك عرفت البلاغة كما يرى محمد العمري نهضة ضمن التنظير التداولي لها، يقول: "إن سبب هذه النهضة البلاغية يرجع، في مجال التنظير، إلى الأهمية المتزايدة للسانيات التداولية"(221), ولكن بالمقابل تبقى النظرية الحجاجية وليدة البلاغة رغم الاهتمام التداولي بها, يقول محمد سالم: "على الرغم من إدراج هذه النظرية في حقل التداولية إلا أنها انبثقت أولا من حقل البلاغة الفلسفية التي كانت تتخذ من التراث البلاغي الغربي موضوعا لقراءتها"(222).

ومنه نقول إن البلاغة والتداولية يشتركان في المنطلق الفلسفي، وإن اختلف منهجهما بين الجدل والتحليل*، مما يعني العودة للماضي وبالتحديد إلى أرسطو(223).

الهوامش:

*- انصرف الدرس البلاغي الحجاجي بعد أرسطو إلى العناية بالصياغة (الأسلوب) مع شيشرون وكنتليان, ينظر: رولان بارث، قراءة جديدة للبلا القديمة، ص23-24.

[1] - هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية، ص22.

[2] - Michel Meyer (ed) Histoire de la Rhétorique des Grecs a nos jours livre de poche Paris, 1999,PP259-260 . .نقلا عن محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص354-355.

[3] - محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص355.

*- L'empire Rhétorique تقابل إمبراطورية البلاغة.

4-رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص14.

[5] - يقول محمد العمري: "يحدد بيرلمان ظروف التقائه مع البلاغة الأرسطية، في مقدمة كتابه (إمبراطورية البلاغة)" نظرية الأدب في القرن العشرين،ص132.

[6] - محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص355.

[7] - Chaim Perelman , L'empire Rhétorique ,P19

[8] - IbId P19 .

[9] - Chaim Perelman, Rhétoriques,P99 ،نقلا عن: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص356.

[10] - محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص70.

*- يؤمن أفلاطون بالجدل العلمي القائم على الحقيقة. ينظر: رولان بارث, قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص17 .

[11] - أرسطو طاليس: الخطابة، ص16-17.

[12] - Ch.Perelman,le champ de l'argumentation,P13. نقلا عن: محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص70.

[13] - محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص357.

14-Ch. Perelman, Traité de L'argumentation,ed.université de Bruxelles ,1976, P9. نقلا عن: محمد الولي "الاستعارة في محطات"، ص357.

[15] - Ch.Perelman,le champ de l'argumentation,P13 نقلا عن محمد العمري:البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول،ص70.

16- محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية،

17- Chaim Perelman, Rhétoriques,P99 ،نقلا عن: محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص355.

18- IbId, P99 نقلا عن: : محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص355.

*- لا يقصد بارث بالموت الموت الحقيقي، وإنما استعمله على سبيل المجاز للوصف حالة الجمود التي عرفتها البلاغة, ينظر:رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص7.

19- لا يقصد بارث بالموت الموت الحقيقي، وإنما استعمله على سبيل المجاز للوصف حالة الجمود التي عرفتها البلاغة, ينظر:رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص7.

20- R.Barthes ,Lancienne rhétorique,in l'aventure sémiologique,P116- نقلا عن: محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص357-358.

21- رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص38.

22- R.Barthes,Lancienne rhétorique,in l'aventure sémiologique,P116 نقلا عن: محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية ،ص358.

23-Chaim Perelman , L'empire Rhétorique ,P19

24- المرجع نفسه، ص358.ينظر: رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص38.

25- المرجع نفسه، ص359.

26- المرجع نفسه، ص359.

27- المرجع نفسه, ص359.

28- المرجع نفسه، ص359.

*وهذا الصراع قديم لوحظ عند اليونان, رولان بارث: قراء جديدة للبلاغة القديمة، ص17.

29- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص359.

30- انتشرت التجريبية في انجلترا مع بيكون، وانتشرت العقلانية في أروبا (فرنسا خاصة) مع ديكارت، والاتجاهان مختلفان. ألكسندر ماكوفلسكي: تاريخ المنطق، ص305.

31- ينظر: المرجع السابق، ص 89-90. محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص361.

32- ألكسندر ماكوفلسكي: تاريخ المنطق، ص332-333.

33-Ch. Perelman ,Rhétoriques ,P430نقلا عن محمد الولي:الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية،ص361.

34 - ألكسندر ماكوفلسكي: تاريخ المنطق، ص344-345.

35-.Ch. Perelman ,Rhétoriques ,P317،نقلا عن: محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص366.

36- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة-مصر- ط1، 2005، ص188.

37- Ch.Perelman,le champ de l'argumentation,P13 ،نقلا عن محمد العمري:البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول،ص69.

38-L'empire ,Rhétorique ,P23

39- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة(مقال)،ص86.

40-المرجع نفسه، ص87.

41- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية و غربية،ص 368.

42- المرجع نفسه, ص368.

43- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص61.

44-Ch.Perelman, l'empire Rhétorique ,P29

45-..Ibid,P29. محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص369.

46- المرجع نفسه، ص370.

47- المرجع نفسه، ص 370, محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص69.

48- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص 371.

49- المرجع نفسه، ص 371.

50- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص69.

51-L'empire Rhétorique,P35

52- Ibid P36

53-.Ibid P37

54-Ch. Perelman, Traité de L’argumentation,P89، نقلا عن: محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص372
55- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص373.
56- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص61.
57- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص374.
58-Ch.Perelman L’empire Rhétorique ,PP40-41
59- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص374.
-60 Ch.Perelman L’empire Rhétorique ,P44
61.-Ibid,P87
62-Ibid,P87
63 - ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص254-255. محمد الولي: الاستعارة في محطات،ص 375.
64-Ch. Perelman,L’empire Rhétorique,P65
65- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص376.
66- Ch. Perelman,L’empire Rhétorique, P89
67- ينظر: محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص376.
68- Ch. Perelman,L’empire Rhétorique, P70
69-المتنبي, ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر-بيروت-لبنان،ط1، 2002،ج2،ص1009.
70- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص379.
71-Ch. Perelman, Traité de L’argumentation,P308 ، نقلا عن محمد الولي،الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ،ص379.
72 - محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ،ص380.
73- المرجع نفسه،ص380.
74- المرجع نفسه، ص382.
75.-Eléments de rhétorique et d’argumentation,P125،نقلاعن المرجع السابق،ص384.
76- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص385.
*-التعاقب:ربط السبب بالنتيجة، التصاحب: علاقة الإنسان بأفعاله. المرجع نفسه، ص385.
77- Ch. Perelman,L’empire Rhétorique, P95.
78- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص386.
79- المرجع نفسه، ص388.
81- المرجع نفسه، ص399.
82- المتنبي: ديوان المتنبي، ج2، ص737.
83- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص400.
84- أرسطو طاليس : الخطابة ، ص 138.
*- ينظر بيرلمان إلى وظيفة الشاهد الحجاجية وليس إلى مصادر الشاهد ومحتواه كما فعل أرسطو.
85.-Ch. Perelman, Traité de L’argumentation,P 475 ،نقلا عن: محمد الولي الاستعارة في محطات، ص405-406.
86.-Ch. Perelman, Traité de L’argumentation,P 482 ،نقلا عن: محمد الولي الاستعارة في محطات، ص408.
87- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص410.
88.-Ch. Perelman, Traité de L’argumentation,P 471 ،نقلا عن محمد الولي: الاستعارة في محطات، ص403.
89-أرسطو طاليس: الخطابة، ص217.
90- المتنبي: ديوان المتنبي، ج1، ص349.
91.-Ch. Perelman, Traité de L’argumentation,P 502 -،نقلا عن: محمد الولي الاستعارة في محطات ، ص432.
92- محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص434-435.
93 – Chaim Perlman L’empire Rhétorique ,P53-
94 - فرحان بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت-لبنان- ط1-2003 ص31.

95- أوزفالد ديكرو : السلالم الحجاجية , ص7-12. نقلا عن: صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص204.

96- أبوبكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص55.

97-المرجع نفسه، ص55.

98-ينظر:جون لانكشوأوستين:نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء،ترجمة عبد القادر قينيني،أفريقيا الشرق-المغرب-ط2، 2008،ص16.

99-المرجع نفسه، ص153 .

100- آن روبول و جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص32.

101- ينظر:جون لانكشوأوستين:نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء،ص16-17.

102- المرجع نفسه, ص17..

103- ديكرو :نظرية الأفعال الكلامية من سوسور إلى فلسفة اللغة، ترجمة فريق م.إ.ق مجلة العرب والفكر العالمي ،دمشق، 1990العدد10،ص153.

104- آن روبول و جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص31-32. جون لانكشوأوستين:نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء،ص9.

105- ينظر: جون لانكشوأوستين:نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء،ص123-124-125-126.

106- آن روبول و جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ،ص32.

*- أعاد الفلاسفة وعلى أوستين وسيرل النظر في التمييز القائم بين الكلام واللغة. J.Searle, Les actes de langage-essai de philosophie du langage Préface O.Ducrot,hermann,édicteur des sciences et des arts,Paris,1972,P7-8-9.

107- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، ص 57.

108- جون لانكشوأوستين:نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء،ص10.

109-يقول سيرل: "ولذلك أعتقد أن تحليلنا للقصدية، إذا فهم فهما صحيحا يكشف إمكانيات وتحديدات اللغة". العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي المركز الثقافي- المغرب، منشورات الاختلاف لجزائر، ط1، 2006, ص222.

110- المرجع نفسه، ص 157.

111- المرجع نفسه، ص184.

112- المرجع نفسه، ص161-162-163.

113- المرجع نفسه، 234.

114- المرجع نفسه، ص151.

115- المرجع نفسه، ص151.

116- المرجع نفسه، ص 151-152-153.

117-المرجع نفسه، ص154.

118- المرجع نفسه، ص154-155.

119- المرجع نفسه، ص213.

120- المرجع نفسه، ص216-217.

121- المرجع نفسه، ص214.

122- المرجع نفسه، ص201.

123- المرجع نفسه، ص202-203.

124- المرجع نفسه، ص202.

125- المرجع نفسه ،ص 202-203.

126- المرجع نفسه،ص203.

127-المرجع نفسه،ص 202-203.

128- المرجع نفسه،ص203.

129- المرجع نفسه،ص 203-204. آن روبول وجاك موشلار:التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ص33.

130- المرجع نفسه،ص207.

*- إن فكرتة في نظرية الأفعال ناتجة برمتها عن الاهتمام بالمعنى، المرجع السابق، ص221.
131- المرجع نفسه، ص 217-216.
132- المرجع نفسه, ص 207.
133- المرجع نفسه, ص208 .
[134] - المرجع نفسه، ص211-213.
135- المرجع نفسه، ص213.
136- بول غرايس , المعنى ، في المجلة الفلسفية، ت موز 1957، 377-88. نقلا عن المرجع نفسه، ص 212.
137- المرجع نفسه، ص217.
138- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص34.
139- المرجع نفسه، ص34.
[140] - ينظر: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص217-221 .
141- Les actes de langage-essai de philosophie du langage,P66-67.
142- Ibid, P175-176-177.
143- ينظر: شكري المبخوت: إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، مركز النشر الجامعي-كلية الآداب والفنون الإنسانيات، جامعة منوبة -تونس، دط، 2006، ص168-169.
*- لقد شرح ديكرو كتاب سيرل"أفعال اللغة" وقد اتخذها منطلقا للحجاج.
144- فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000, ص292.
145- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص55
146- H.P. Grice,Logique et conversation,in information grammaticale traduit par Frederik Berthe et Michel Bozen,Paris ,n66,1995,PP51-71. نقلا عن مسعود صحراوي:التداولية عند العلماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،دار الطليعة-بيروت –لبنان،ط1، 2005،ص33.
147- المرجع نفسه، ص33. آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص54.
148- المرجع نفسه, ص55 .
149- المرجع نفسه، ص55.
150- ينظر: المرجع نفسه، ص55. طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص238.
151- المرجع نفسه، ص238.

152 - المرجع نفسه ، ص 239.
153- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ص 56.
154- المرجع نفسه، ص، 56.
155- المرجع نفسه، ص57.
156- المرجع نفسه، ص62-63.
157- المرجع السابق، ص62.
158- المرجع نفسه، ص 63.
159- المرجع نفسه، ص 63.
160- المرجع نفسه، ص64 .
*-يرى أبو بكرالعزاوي أن ديكرو هو مؤسس نظرية الحجاج التي انطلقت من اللغة وليس من المنطق الجدلي كما ذكرنا سابقا. أبو بكر العزاوي :الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص55.
161-المرجع نفسه، ص55.
162- O .Ducrot&Anscombre ,L'argumentation dans la langue,Pierre Mardaga Editeurs Bruxelles P7 ،نقلا عن عمر بلخير : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص121.
163- O .Ducrot ,Dire et ne pas dire,hermann,édicteur des sciences et des arts,Paris,3éd,1991P introduction,285

164- يقول ديكرو: "إن الأبحاث المتعلقة بهذا الأمر،وقد قمت بها صحبة جون كلود أنسكمبر وسميناها", الحجاج في اللسان".أوزفالد ديكرو: السلالم الحجاجية، مطابع منتصف الليل، باريس،1980،ص7-12.نقلا عن: صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص206

165- O .Ducrot ,Dire et ne pas dire, P285-286.

166- عمر بلخير : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص121.

167- أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)،ص57.

168- المرجع نفسه، ص57.

169- قال ديكرو: "أما النظرية فتتعلق بالطريقة التي بها نستطيع استعمال ملفوظ في خطاب حجاجي". أوزفالد ديكرو:السلالم الحجاجية ص7-12.نقلا عن: صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص204.

170- المرجع نفسه،ص204.

171- أبو بكر العزاوي:الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)،ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه) ،ص58.

172- المرجع نفسه،ص59.

173- المرجع نفسه،ص59.

174- المرجع نفسه،ص59.

175- المرجع نفسه،ص59.

176-ينظر: المرجع نفسه،ص60.

177- O.Ducrot, Les échelles argumentationP10-11 ،نقلا عن أبوبكر العزاوي:الحجاج والمعنى الحجاجي(مقال)،ضمن كتاب التحاجج(طبيعته ومجالاته ووظائفه)،ص60.

178- المرجع نفسه،ص60.طه عبد الرحمن:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص277.

179- المرجع نفسه ص277-278.

180- O.Ducrot, Les échelles argumentationP27.- ،نقلا عن أبوبكر العزاوي:الحجاج والمعنى الحجاجي(مقال)،ضمن كتاب التحاجج(طبيعته ومجالاته ووظائفه)،ص60.

181- المرجع نفسه، ص61. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص278.

182- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277 .

183- أبوبكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي(مقال)،ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص62.

184- المرجع نفسه، ص63.

*- الفرق بين الروابط والعوامل يكمن في أن الروابط تربط بين قولين أو حجتين.

185- O.Ducrot, Les échelles argumentationP15-16. ،نقلا عن: أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال) ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص64.

186- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص169.

*- ومنه يعنى الحجاج بالمعنى من خلال تأويل الخطاب.جيل ديكلارك: التداولية و الحجاج (مقال)، ضمن كتاب تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص197.

187- آن روبول و جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص173.

188- أوزفالد ديكرو: نظرية الأفعال الكلامية من سوسور إلى فلسفة اللغة ، ص155-156.

189- أبو بكر العزاوي : الحجاج والمعنى الحجاجي(مقال)، ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)، ص64.

190- المرجع نفسه، ص64.

191- المرجع نفسه، ص66.

192- المرجع نفسه، ص67.

193- O .Ducrot ,Dire et ne pas dire,P2-3-4.

*- ينظر إلى: مقدمة الكتاب نفسه.

194- أوزفالد ديكرو: السلالم الحجاجية ص7-12. نقلا عن: صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص204.

195- رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص5-6.

196- أرسطو طاليس: الخطابة، ص9-17.
197- المرجع نفسه، ص9.
198- جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، ص110.
199- أرسطو طاليس: الخطابة، ص16-17.
200- فرحان بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب، ص32.
201- أرسطو طاليس: الخطابة، ص195-196.
202- Chaim Perlman L empire Rhétorique ,P53-
203- هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية , ص23.
204-المرجع نفسه، ص23.
205- المرجع نفسه، ص 23.
[206] - رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص8
207-المرجع نفسه، ص 7-8.
208- المرجع نفسه , ص7.
209- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص65-66.
210- رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص5-6.
211- يقول رولان بارث: "وهكذا منح أرسطو البلاغة صبغتها التداولية منذ الوهلة الأولى", المرجع نفسه، ص6 .
212- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص29.
213- رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص6.
214- هنريش بليت: البلاغة والأسلوبية، ص25 .
215- أرسطو طاليس: الخطابة، ص228-230.
216- هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، ص25.
217- المرجع نفسه، ص26.
218- المرجع نفسه، ص27.
219- المرجع نفسه, ص29 .
220- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة، ص87.
221- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص65.
222-محمد سالم محمد ولد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص85.
*- بيرلمان ينطلق من الفلسفة الجدلية ، بينما تنطلق نظرية الأفعال من الفلسفة التحليلية. ينظر: جون سيرل:العقل واللغة والمجتمع، ص231
و:Ch.Perelman,le champ de l’argumentation,P13 نقلا عن محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص70.
223- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص69.